

# سُورَةُ عَبَّاسٍ

لِأَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبَّاسٍ

حَفِظَهُ اللَّهُ







## سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾

📖 أَسْمَاءُ السُّورَةِ: -

«سُورَةُ عَبَسَ».

سَمَّاهَا ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «أَحْكَامُ الْقُرْآنِ»، «سُورَةُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ».

🌸 وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ: تُسَمَّى «سُورَةُ الصَّاحَّةِ».

🌸 وَقَالَ الْعَيْنِيُّ فِي «شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: تُسَمَّى «سُورَةُ السَّفَرَةِ».

وَتُسَمَّى «سُورَةُ الْأَعْمَى».

وَكُلُّ ذَلِكَ تَسْمِيَةٌ بِالْفَاطِ وَفَعَتْ فِيهَا لَمْ تَقَعْ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّورِ، أَوْ  
بِصَاحِبِ الْقِصَّةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ نَزُولِهَا<sup>(١)</sup>.

(١) «مَرَاخٍ لَبِيدٍ لِكَشْفِ مَعْنَى الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» (٢/ ٦٠٣)، «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠/ ١٠١)

## 📖 هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدِينِيَّةٌ؟

نَقَلَ ابْنُ عَطِيَّةَ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَالطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ<sup>(١)</sup>.

## 📖 سَبَبُ نُزُولِ السُّورَةِ: -

قِصَّةُ النَّبِيِّ مَعَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ.

## 📖 تَرْتِيبُ نُزُولِ السُّورَةِ: -

عُدَّتِ الرَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّورِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ «وَالنَّجْمِ»، وَقَبْلَ سُورَةِ «الْقَدْرِ»، وَهِيَ أُولَى السُّورِ مِنْ أَوَاسِطِ الْمُفْصَّلِ<sup>(٢)</sup>.

## 📖 أَغْرَاضُ السُّورَةِ: -

تَهْدِفُ السُّورَةُ إِلَى تَوْجِيهِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ أَهْلِ الْإِتِّبَاعِ وَأَهْلِ الْعِنَادِ، وَالتَّذْكِيرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِغْنَاءَ وَالتَّرَفَ غَالِبًا أَمَارَةٌ الْإِعْرَاضِ وَعَدَمُ الْقَابِلِيَّةِ وَالتَّهَيُّؤُ لِلْكَفْرِ وَالْفُجُورِ، وَإِلَى أَنَّ الْمَصَائِبَ غَالِبًا أَمَارَةٌ لِلطَّهَّارَةِ وَالْإِقْبَالِ، وَاسْتِكَانَةِ الْقُلُوبِ، وَسُمُومِ النُّفُوسِ لِشَرِيفِ الْأَمَالِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ فِيهَا أَرْسَخَ كَانَ

(١) «جَمَالُ الْقُرَاءِ وَكَمَالُ الْإِقْرَاءِ» (ص ٤٤) «الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ» (٥ / ٤٣٦) «زَادَ الْمَسِيرُ»

(٤ / ٣٩٩) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢١١).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ جُزَيٍّ» (٢ / ٤٥٢)، «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠ / ١٠١).

قَلْبُهُ أَرْقَ وَالْطَفَ، فَكَانَ أَخْشَى، فَكَانَ الْإِقْبَالُ عَلَيْهِ أَحَبَّ وَأَوْلى؛ كَمَا تَلَفْتُ إِلَى الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ مَرَاتِبِ الْمَصَالِحِ، وَتَقْدِيمِ أَعْلَاهَا، وَفَضْلِ أَهْلِ الدِّينِ وَإِنْ هَانُوا، وَخَسَّةِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَإِنْ زَانُوا، وَالْإِشَارَةَ إِلَى اخْتِلَافِ الْحَالِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ هَذِي الْإِسْلَامِ، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقْبِلِينَ عَلَى تَتَبُعِ مَوَاقِعِهِ، وَقَرْنِ ذَلِكَ بِالتَّذْكِيرِ بِإِكْرَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَسُمْؤِ دَرَجَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ لِمَنْ رَغِبَ فِي عِلْمِهِ.

كَمَا تَرْنُوا إِلَى التَّذْكِيرِ بِالْآخِرَةِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَحَالِ النَّاسِ فِيهَا، وَالْإِسْتِدْلَالَ عَلَى إِثْبَاتِ الْبَعْثِ، وَهُوَ الْأَصْلُ الْأَصِيلُ فِي تَضْمِيمِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ دَعْوَةِ الْقُرْآنِ؛ تَوْهَمًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْمَحَالِ، فَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُقِ الَّذِي خُلِقَ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَاسْتَدَلَّ بَعْدَهُ بِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ مِنْ أَرْضٍ مَيِّتَةٍ.

وَهَدَفْتُ أَيْضًا إِلَى الْإِنْذَارِ بِحُلُولِ السَّاعَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ أَهْوَاهَا، وَبِمَا يَعْقُبُهَا مِنْ ثَوَابِ الْمُتَّقِينَ، وَعِقَابِ الْجَاهِلِينَ، وَالتَّذْكِيرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْمُنْكَرِينَ عَسَى أَنْ يَشْكُرُوهُ<sup>(١)</sup>.

(١) «نَظُمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٤٩)، «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠ / ١٠٣)، «التَّفْسِيرُ وَالْبَيَانُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» (٤ / ٢٢٠٣).



📖 **مُنَاسِبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبْلَهَا: -**

**\* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:** جَاءَ فِي كِلْتَا السُّورَتَيْنِ ذِكْرُ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ؛  
فَفِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ ذَكَرَ فَضْلَهُ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُنَا عَدَدَ  
فَضْلِهِ فِي تَنْوِيعِ الثَّمَارِ وَالطَّعَامِ.

**\* الْوَجْهُ الثَّانِي:** لَمَّا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً  
لِّمَن يَخْشَى﴾ (٣٦)، قَالَ فِي سُورَةِ عَبَسَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا﴾؛ فَافْتَتَحَتْ  
سُورَةُ عَبَسَ بِمِثَالٍ يَكْشِفُ عَنِ الْمَقْصُودِ مِنْ حَالِ أَهْلِ التَّذَكُّرِ وَالْخَشْيَةِ،  
وَجَمِيلِ الْإِعْتِنَاءِ الرَّبَّانِيِّ بِهِمْ، وَأَتَتْهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي دُنْيَاهُمْ ذَوِي حُمُولٍ لَا يُؤْبَهُ  
لَهُمْ؛ فَهُمْ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ فِي عِدَادِ مَنْ اخْتَارَهُ لِعِبَادَتِهِ وَأَهْلُهُ لِبَطَاعَتِهِ وَإِجَابَةِ  
رَسُولِهِ ﷺ، وَأَعْلَى مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ «رُبَّ أَشْعَثٍ أَغْبَرَ لَا يُؤْبَهُ بِهِ؛ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى  
اللَّهِ لَأَبْرَهُ».

**\* الْوَجْهُ الثَّالِثُ:** أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تُعَدُّ تَفْصِيلًا لِمَا ذَكَرَ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
فِي خِتَامِ سُورَةِ النَّازِعَاتِ.

**\* الْوَجْهُ الرَّابِعُ:** فِي كِلْتَا السُّورَتَيْنِ التَّنْبِيهُ عَلَى أَهْمِيَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ  
تَعَالَى؛ فَفِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ دَعْوَةُ مُوسَى فِرْعَوْنَ، وَهُنَا ذَكَرَ دَعْوَةَ النَّبِيِّ  
لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ<sup>(١)</sup>.

(١) «الْبُرْهَانُ فِي تَنَاسُبِ سُورِ الْقُرْآنِ» (ص ٣٥٦)، «تَفْسِيرُ الْأَلُوسِيِّ، رُوحُ الْمَعَانِي»



وَلَمَّا كَانَ مُوسَى سَابِقًا لِحَمْدٍ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؛ كَانَتْ سُورَةُ  
النَّازِعَاتِ سَابِقَةً لِسُورَةِ عَبَسَ وَتَوَلَّى.

**\* الْوَجْهُ الْخَامِسُ:** قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ  
الْكُبْرَى﴾، وَفِي سُورَةِ عَبَسَ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾؛ لِأَنَّ الطَّامَّةَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ  
طَمَمْتُ الْبُيْرَ إِذَا كَبَسْتُهَا، وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ بِالطَّامَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَكْبِسُ كُلَّ شَيْءٍ  
وَتَكْسِرُهُ، وَسُمِّيَتِ الصَّاخَّةُ، وَالصَّاخَّةُ مِنَ الصَّخِ أَيُّ: الصَّوْتِ الشَّدِيدِ؛  
لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ صَوْتِهَا يَجْثُوهَا النَّاسُ كَمَا يَتَّبِعُهُ النَّائِمُ بِالصَّوْتِ الشَّدِيدِ،  
وُخْصِتِ «النَّازِعَاتُ» بِالطَّامَّةِ؛ لِأَنَّ الطَّمَّ قَبْلَ الصَّخِ فَكَانَتْ السَّابِقَةَ،  
وُخْصِتِ «عَبَسَ» بِالصَّاخَّةِ؛ لِأَنَّهَا بَعْدَهَا وَهِيَ الْلاحِقَةُ<sup>(١)</sup>.

وَالطَّامَّةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّدِيدَةِ الَّتِي تُنْسَى عِنْدَهَا الشَّدَائِدُ، فَتُطْمَ عَلَى  
مَا تَقَدَّمَهَا، أَيُّ: تَسْرِهُ وَتُغْطِيهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: وَالْقِيَامَةُ: الطَّامَّةُ الْكُبْرَى؛  
لِأَنَّهَا شَدَّتْهَا تُنْسَى مَا تَقَدَّمَهَا مِنْ شَدَائِدِ الدُّنْيَا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ فِيهَا  
كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أَيُّ: تَصِيرُ شَدَائِدُ الدُّنْيَا  
عِنْدَهَا مُحْتَقَرَةً بِمَنْزِلَةِ مَا لَمْ يَرَوْهُ إِلَّا سَاعَةً كَعَشِيَّةٍ أَوْ ضُحَاهَا.

وإِنَّمَا اسْتُعْمِلَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ؛ لِأَنَّ فِيهَا ذَكَرَ مَا  
أَوْتِيَ بِهِ فِرْعَوْنُ مِنَ الطَّامَّةِ الْكُبْرَى فِي الْكُفْرِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾،  
فَهَذِهِ فِي الْكِبَائِرِ كَشَدِيدَةِ الْآخِرَةِ فِي الشَّدَائِدِ؛ فَكَأَنَّهُ قَرَنَ إِلَى ذِكْرِ الْكَبِيرَةِ

(١) «أَسْرَارُ التَّكْرَارِ فِي الْقُرْآنِ = الْبُرْهَانُ فِي تَوْجِيهِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ» (ص ٢٤٥).

الْمُوفِيَةِ عَلَى أَمْثَالِهَا ذَكَرَ الطَّامَّةِ الْكُبْرَى وَأَهْوَاهَا.

وَأَمَّا الصَّاحَّةُ؛ فَهِيَ صَيْحَةٌ تَطْعَنُ الْأَذَانَ فَتَصُمُّهَا، يُقَالُ: صَخَّ الْغُرَابُ بِمِنْقَارِهِ فِي دُبُرِ الْبَعِيرِ، أَيِ: طَعَنَ؛ فَالصَّاحَّةُ صَيْحَةٌ شَدِيدَةٌ؛ لِشِدَّةِ صَوْتِهَا تُحْيِي النَّاسَ كَالصَّيْحَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تُنبِّئُهُمْ هَا النُّوَامَ.

فَلَمَّا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ حَالَةِ الْإِنْسَانِ مَا نَطَقَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾ (٢١) ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾، كَانَ الْإِنْشَارُ بِالصَّاحَّةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْأَذَانَ، فَيَقْضِي اللَّهُ عَنْدَهَا إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، فَقَارَنَ الْآيَاتِ الَّتِي فِي السُّورَةِ (١).

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ۝ (٣) أَوْ يَذْكُرُ  
فَنَنْفَعُهُ ۝ (٤) أَلَمْ آمَنْ أَسْتَغْنَى ۝ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝ (٦) وَمَا عَلَيْكَ  
أَلَّا يَزْكِي ۝ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۝ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ (١٠)  
كَلَّا إِنَّمَا تَذْكُرُهُ ۝ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ (١٢) ﴾

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾

قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ الَّذِي عَبَسَ هُوَ الرَّسُولُ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ،  
وقوله: ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ <sup>(١)</sup>.  
وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَرِيحِ بْنِ مَالِكٍ، وَهُوَ ابْنُ خَالِ  
خَدِيجَةَ، وَأُمُّ مَكْتُومٍ هَذِهِ أُمُّ أَبِيهِ <sup>(٢)</sup> واسمها عاتكة.

📖 سَبَبُ النُّزُولِ:

لَا خِلَافَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى <sup>(٣)</sup>.

ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُخَاطَبُ  
بَعْضَ عِظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمَعَ فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطَبُهُ وَيُنَاجِيهِ  
إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا - فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ

(١) «تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ» (٦ / ١٥٥).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ تَسْلَامَةً» (٨ / ٣١٩).

(٣) «أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ط الْعِلْمِيَّة» (٤ / ٣٦٢).

اللَّهُ عَنِ شَيْءٍ وَيُلِحُّ عَلَيْهِ، وَوَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ؛ لِيَتِمَّ كُنْ مِنْ مُحَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ. وَعَبَسَ فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُرَى ۚ﴾.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بِأَسَا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أَنْزَلَ<sup>(١)</sup>.

📖 الْحِكْمَةُ فِي إِعْرَاضِ النَّبِيِّ عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ:

📖 قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: قَدْ عَلِمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ لَوْ أَسْلَمَ هَذَا الرَّجُلُ؛ لَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِ نَاسٌ كَثِيرُونَ، وَأَظْهَرَ الدِّينَ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ لَا يَفُوتُهُ وَهُوَ حَاضِرٌ مَعَهُ، فَاشْتَغَلَ عَنْهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِمَا خَافَ فَوْتَهُ مِنْ عَظِيمِ الْخَيْرِ عَمَّا لَا يَخَافُ فَوْتَهُ، وَهَذَا غَايَةُ النَّظَرِ لِلدِّينِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي نُصْرَةِ الْقُرْآنِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَنَهَايَةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَوْ فَعَلَهُ الْيَوْمَ مَنَّا فَاعِلٌ لِأَجْرٍ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ الْأَوَّلَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الْأَعْمَى الْفَاضِلِ الْبَرِّ التَّقِيِّ<sup>(٢)</sup>.

(١) «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٥ / ٢٨٩) وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ» وَقَالَ الْحَاكِمُ: قَدْ أَرْسَلَهُ جَمَاعَةٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، «الْمُسْتَدْرَكُ» (٢ / ٥٥٨).

(٢) «الْفَضْلُ فِي الْمَلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ» (٤ / ١٨).

❖ قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَالْقُرْطُبِيُّ: قَالَ عَلَمًاؤُنَا: مَا فَعَلَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ كَانَ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ، لَوْ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَشْغُولٌ بِغَيْرِهِ، وَأَنَّهُ يَرْجُو إِسْلَامَهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَاتَبَ رَسُولَهُ ﷺ حَتَّى لَا تَنْكَسِرَ قُلُوبُ أَهْلِ الصُّفَّةِ، أَوْ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ خَيْرٌ مِنَ الْغَنِيِّ، وَكَانَ النَّظَرُ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَوْلَى - وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا -، وَأَصْلَحَ وَأَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ الْآخِرِ، وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ؛ طَمَعًا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَيْضًا نَوْعًا مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَعَلَى هَذَا يَخْرُجُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ [الأنفال: ٦٧] الْآيَةُ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا قَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْلِيفَ الرَّجُلِ؛ ثَقَّةً بِمَا كَانَ فِي قَلْبِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ مِنَ الْإِيْمَانِ، كَمَا قَالَ: إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ خَافَةَ أَنْ يُكَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ<sup>(١)</sup>.

### ﴿عَبَسَ﴾

الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَكْرُّهِ فِي شَيْءٍ، وَأَصْلُهُ الْعَبَسُ، ثُمَّ اشْتَقَّ مِنْ هَذَا: الْيَوْمُ الْعَبُوسُ، وَهُوَ الشَّدِيدُ الْكَرِيهُ، وَاشْتَقَّ مِنْهُ: عَبَسَ الرَّجُلُ يَعْبِسُ عُبُوسًا، وَهُوَ عَابِسُ الْوَجْهِ: غَضَبَانٌ، وَعَبَّاسٌ: إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ١٣٢)، «أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ط الْعِلْمِيَّة»، (٤/ ٣٦٣)

«تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢١٣)

(٢) «مَقَائِيسُ اللَّغَةِ» (٤/ ٢١١)

❖ وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْعُبُوسُ: قُطُوبُ الْوَجْهِ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ. <sup>(١)</sup>

❖ وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: عَبَسَ: «قَبَضَ وَجْهَهُ تَكْرُهًا» <sup>(٢)</sup>، وَنَظِيرُهُ الْبُسُورُ.

❖ وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: عَبَسَ: كَلَحَ. <sup>(٣)</sup>

📖 الْفَارِقُ بَيْنَ عَبَسَ وَكَلَحَ وَبَسَرَ:

عَبَسَ يَعْبِسُ عُبُوسًا فَهُوَ عَابِسُ الْوَجْهِ غَضَبَانٌ، فَإِنْ أَبْدَى عَنْ  
أَسْنَانِهِ فِي عُبُوسِهِ؛ قُلْتَ كَلَحَ، وَإِنْ اهْتَمَّ لِذَلِكَ وَفَكَّرَ فِيهِ؛ قُلْتَ: بَسَرَ. <sup>(٤)</sup>

﴿وَتَوَلَّى﴾

❖ قَالَ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ: أَعْرَضَ.

❖ وَقَالَ ابْنُ فُورَكٍ: التَّوَلَّى: هُوَ الذَّهَابُ بِالْوَجْهِ عَنِ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ  
صَرَفَهُ عَنْ أَنْ يَلِيَهُ. <sup>(٥)</sup> وَقَالَ السَّعْدِيُّ: ﴿عَبَسَ﴾ بِوَجْهِهِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ بِيَدَيْهِ،  
فَوَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حِيَالُ هَذَا الْأَعْمَى أَمْرٌ بَاطِنِيٌّ وَهُوَ الْكَرَاهَةُ، وَأَمْرٌ  
ظَاهِرِيٌّ وَهُوَ الْعُبُوسُ وَالْإِعْرَاضُ. <sup>(٦)</sup>

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٥٤٤).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٢).

(٣) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤١٥).

(٤) «الْعَيْنُ» (١ / ٣٤٣).

(٥) «تَفْسِيرُ ابْنِ فُورَكٍ» (٣ / ١٤٨ بِتَرْقِيمِ الشَّامِلَةِ آيًّا).

(٦) «التَّفْسِيرُ الْعَقْدِيُّ لِجُزْءِ عَمَّ» (ص ٧٤).



كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ: «لَأَنْ جَاءَكَ الْأَعْمَى وَأَنْتَ مَعَ السَّادَةِ تَعْبَسُ وَتَتَوَلَّى»، فَهَذَا الدِّينُ نَاصِرُهُ هُوَ اللَّهُ، وَيَنْصُرُهُ بِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَلَا يُشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ سَيِّدًا عَظِيمًا؛ فَاللَّهُ يَعْلَمُ رَسُولَهُ، وَيُعَلِّمُنَا تَبَعَالَهُ، كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ عِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ، وَقَرِيبٌ مِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٣] أَصْلُ الْكَلَامِ: لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ؟ فَحِينَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَاتِبَ النَّبِيَّ؛ قَدَّمَ الْعَفْوَ عَلَى الْعِتَابِ.

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْعِتَابِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٢]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الْكَهْفُ: ٢٨]، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>.

وَهُنَا قَالَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ وَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ، بَلْ جَاءَ بِصِغَةِ الْغَائِبِ، وَهَذَا أَلْطَفُ مَنْ أَنْ تَقُولَ: عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ؛ لِأَنَّ الْمُشَافَهَةَ بَتَاءِ الْخُطَابِ فِيهَا شِدَّةٌ وَصُعُوبَةٌ، قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَجَاءَ بِضَمِيرِ الْغَائِبِ فِي عَبَسَ وَتَوَلَّى؛ إِجْلَالًا لَهُ ﷺ وَلُطْفًا بِهِ أَنْ يُخَاطَبَ؛ لِمَا فِي الْمُشَافَهَةِ بَتَاءِ الْخُطَابِ مِمَّا لَا يَخْفَى<sup>(٢)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢١٤).

(٢) «الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ» (١٠ / ٤٠٦).

﴿وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: فَعَلَ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لَهُ<sup>(١)</sup>، وَمِنْهُ نَتَعَلَّمُ أَدَبَ التَّلَطُّفِ مَعَ النَّاسِ فِي الْحَوَارِ وَحُسْنِ اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ، وَأَنَّ الْخَطَأَ قَدْ يَقَعُ مِنْ كُلِّ النَّاسِ حَتَّى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ الْعِتَابَ دَلِيلُ الْمَحَبَّةِ.

﴿وَقَالَ صَاحِبُ الظَّلَالِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) أَنَّ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ بِصِغَةِ الْحِكَايَةِ عَنْ أَحَدٍ آخَرَ غَائِبٍ غَيْرِ الْمُخَاطَبِ!

وَفِي هَذَا الْأَسْلُوبِ إِجْحَاءٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ مَوْضُوعُ الْحَدِيثِ مِنَ الْكَرَاهَةِ عِنْدَ اللَّهِ بِحَيْثُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُوَاجِهَ بِهِ نَبِيُّهُ وَحَبِيبُهُ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْأَعْمَى لَيْسَ لِتَحْقِيرِ شَأْنِهِ، بَلْ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّهُ بِسَبَبِ عَمَاهُ اسْتَحَقَّ مَزِيدَ الرَّفْقِ وَالرَّأْفَةِ<sup>(٣)</sup>، وَأَيْضًا وَصَفُهُ بِالْأَعْمَى فِيهِ تَبْرِيرٌ مِنَ اللَّهِ لِفِعْلِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فِي تَرْكِ الْإِسْتِئْذَانِ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ فَوَائِدُ أُخْرَى:

جَوَازُ الْعَمَلِ بِالْاجْتِهَادِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْعَمَلِ اجْتِهَادًا لَا نَصًّا؛ إِذْ لَوْ كَانَ الْإِذْنُ بِالتَّوَلَّى وَالتَّعَبُّسِ سَائِعًا؛ لَمْ يَكُنْ يُعَاتَبُ بِفِعْلِهِ قَدْ أَمَرَهُ.

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢١٣).

(٢) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦ / ٨٠٨).

(٣) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ أَوْ التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ» (٣١ / ٥٣).

(٤) «التَّفْسِيرُ الْعَقْدِيُّ» (ص ٧٤).

وَفِيهِ أَنَّ الْكَافِرَ وَإِنْ كَانَ مُبَجَّلًا مُعَظَّمًا فِي قَوْمِهِ، فَلَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعَظِّمُوهُ وَيُبَجِّلُوهُ، بَلْ يُسْتَرَدَّلُ وَيُسْتَخَفُّ بِهِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَظَّمَ وَيُكْرَّم، وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا فِي أَعْيُنِ الْخَلْقِ.

وَفِيهِ آيَةُ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَدَلَالَةُ بُيُوتِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِقْ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَتَعَاطَى فِعْلًا حَقُّهُ السِّرُّ؛ فَهُوَ يَسْتُرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَهْتِكُ عَلَيْهَا السِّرَّ؛ لِئَلَّا يُذَمَّ عَلَيْهِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ؛ لَكَانَ يَجْتَهِدُ فِي السِّرِّ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُبْدِيهِ لِلْخَلَائِقِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَسُولًا لَمْ يَجِدْ مَنْ تَبْلِيغِهِ إِلَى الْخَلْقِ بُدًّا، فَبَلَّغَهُ كَمَا أَمَرَ<sup>(١)</sup>.

❖ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَ يُقَالُ: لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ مِنَ الْوَحْيِ شَيْئًا؛ كَتَمَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ هَذِهِ الْعَاهَاتِ مَتَى كَانَتْ الْمُنْفَعَةُ، أَوْ لِأَنَّ شُهْرَتَهَا تُعَرِّفُ السَّامِعَ صَاحِبَهَا دُونَ لَبْسٍ جَائِزٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُحَدِّثِينَ: سَلَمَانَ الْأَعْمَشُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ وَسَالِمُ الْأَفْطُسُ وَنَحْوُ هَذَا<sup>(٣)</sup>.  
وَمَتَى ذُكِرَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقِصِ فَتِلْكَ الْغِيْبَةُ.

وَقَدْ يُسْتَدَلُّ أَيْضًا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وَقُوعِ الصَّغَائِرِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَعَدَمِ عِصْمَتِهِمْ مِنْهَا.

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتَرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠ / ٤١٩).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٥).

(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ = الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥ / ٤٣٧).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ لِشَرَفِ طُلَّابِ الْعِلْمِ عُمُومًا وَلِلصَّحَابَةِ خُصُوصًا؛ فَمَا  
لَمْ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ أَحَدِهِمْ.

وَيُؤْخَذُ مِنَ الْآيَةِ أَيْضًا أَنَّ الظَّاهِرَ عُنْوَانُ الْبَاطِنِ، فَلَمَّا تَضَاقَقَ الرَّسُولُ مِنْ  
قُدُومِهِ؛ ظَهَرَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ.

وَقَدْ يُسْتَدَلُّ بِالْآيَةِ لِلْمَقُولَةِ الشَّهِيرَةِ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ، فَلَوْلَا  
حُبُّ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ مَا عَاتَبَهُ.

### ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾

**أَي:** وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَكَّى، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الْإِعْرَاضِ  
بِالْعِلْمِ عَمَّنْ أَرَادَهُ وَطَلَبَهُ، وَأَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ هَدَفُهُ مِنْ  
طَلَبِ الْعِلْمِ تَزَكِيَةَ نَفْسِهِ، وَأَنَّ السَّائِلَ الَّذِي قَدْ يَلَامُ الْمُعَلِّمَ عَلَى إِهْمَالِهِ هُوَ  
مَنْ قَصَدَ بَعْلِمِهِ زَكَاةَ نَفْسِهِ.

### ﴿يَزَكِّي﴾

زَكَّى يُزَكِّي تَزَكِيَةً، وَالزَّكَاةُ: الصَّلَاحُ، تَقُولُ: رَجُلٌ زَكِيٌّ تَقِيٌّ،  
وَرِجَالٌ أَزْكَيَاءُ أَتَقِيَاءُ. وَزَكَ الزَّرْعُ يَزْكُو زَكَاءً: أَزْدَادَ وَنَمًا، وَكُلُّ شَيْءٍ أَزْدَادَ  
وَنَمًا فَهُوَ يَزْكُو زَكَاءً<sup>(١)</sup>.

(١) «الْعَيْنُ» (٥ / ٣٩٤).

وَفِي قَوْلِهِ ﴿يَرْكَبُ﴾ خَمْسَةُ أَوْجِهٍ:

\* أَحَدُهَا: يُؤْمِنُ، قَالَهُ عَطَاءٌ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُ يَرْكَبُ﴾: يُسْلِمُ<sup>(١)</sup>.

\* الثَّانِي: يَتَعَبَّدُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، قَالَهُ ابْنُ عِيْسَى.

\* الثَّالِثُ: يَحْفَظُ مَا يَتْلُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

\* الرَّابِعُ: يَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، قَالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ.

\* الْخَامِسُ: يَتَطَهَّرُ مِنْ ذُنُوبِهِ، قَالَهُ الطَّبْرِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذِهِ الْوُجُوهُ تُعَبِّرُ عَنْ مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أُمٍّ مَكْتُومٌ كَانَ قَادِمًا رَاغِبًا فِي الْخَيْرِ، انْظُرْ هَذِهِ الْأَقْوَالَ فِي تَفْسِيرِ «النُّكْتُ وَالْعِيُونُ»<sup>(٣)</sup>

📖 قَاعِدَةٌ كَلِمَةٌ فِي التَّفْسِيرِ: -

مَا أَذْرَاكَ وَمَا يُدْرِيكَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ﴾ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، وَتَأْتِي كَلِمَةُ (مَا أَذْرَاكَ) فِي الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ بِالْعَيْنِ، فَلَا يَكُونُ أَبَدًا (مَا أَذْرَاكَ مَا الْفِيلُ)؛ لِأَنَّ الْفِيلَ يُرَى بِالْعَيْنِ.

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٦).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٦).

(٣) انْظُرْ «تَفْسِيرُ الْمَاوَرِدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعِيُونُ» (٦ / ٢٠٢).

﴿ وَقَالَ مُقَاتِلٌ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَالْفَرَاءُ، وَسَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالَوَيْهِ، وَالرَّاعِبُ، وَالْبِقَاعِيُّ: وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ فَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ، ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبَرْ بِهِ <sup>(١)</sup>.

﴿ قَالَ الرَّاعِبُ: وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾، فَقَدْ عَقَّبَ بَيَّانُهُ <sup>(٢)</sup>.

وَنَسَبَ السَّمْعَانِيُّ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(٣)</sup>.

📖 اسْتَدْرَاكَاتٌ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ:

﴿ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَازِيدِيُّ: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ﴾ قَضَاءٌ بِإِبْطَالِ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ: ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ ﴾ فَهُوَ مِمَّا لَمْ يَدْرِهِ؛ يُرَوَى ذَلِكَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَدْرَاهُ هَاهُنَا بِقَوْلِهِ: ﴿ لَعَلَّهُ يَزْكِي ﴾، وَ«لَعَلَّ» مِنْ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَإِذَا جَعَلَهُ وَاجِبًا فَقَدْ زَكَّاهُ، وَإِذَا زَكَّاهُ فَقَدْ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ <sup>(٤)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ» (٤ / ٨١١)، «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ» (٣ / ٢٨٠)، «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٣ / ٤٥)، «تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ» (١٠ / ٣١٥٧)، «الْحُجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» (ص ٣٦٥)، «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ» (٥ / ٢٦)، «فَتْحُ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ» (٤ / ٢٥٥)، «نَظْمُ الدَّرَرِيِّ تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٣١٩).

(٢) «الْمُقَرَّدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٣١٣).

(٣) «تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ» (٦ / ٣٤).

(٤) «تَفْسِيرُ الْمَازِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠ / ٤٢٠).



﴿وَقَالَ النَّحَّاسُ: فَهَذَا غَلَطٌ؛ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾﴾ [القَارِعَةُ: ٣]، وَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحَاقَّةُ: ٣] وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا تَبَيُّنٌ<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ الرَّازِيُّ: قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ وَلَمْ يُخْبِرْهُ بِهَا.

﴿وَقَالَ: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فِي عَبَسَ وَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَرْكَبُ﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ أَيْضًا: قَدْ تُعَقَّبَ هَذَا الْحُصْرُ -يَعْنِي قَوْلَ الْفَرَّاءِ- بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُ يَرْكَبُ﴾؛ فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَقَدْ عَلِمَ ﷺ بِحَالِهِ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ تَرَكَى وَنَفَعَتْهُ الذِّكْرَى<sup>(٣)</sup>.

﴿وَقَالَ الرَّاعِبُ: فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ذَكَرَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُونَ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ١٩]، ثُمَّ فَسَّرَ الْكِتَابُ السَّجِينَ وَالْعَلِيِّينَ<sup>(٤)</sup>.

وَتُنَاقَشُ هَذِهِ الْأَقْوَالُ بَأنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ التَّبَيُّنُ فِي نَفْسِ السُّورَةِ، وَأَنَّ الْقَاعِدَةَ أَعْلَىيَّةٌ.

(١) «إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ» (٥ / ١٤٤).

(٢) «مَبَاحِثُ التَّفْسِيرِ لِابْنِ الْمُظَفَّرِ الرَّازِيِّ» (ص ٣١٥).

(٣) «فَتْحُ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ» (٤ / ٢٥٦).

(٤) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٣٩٩).

﴿الآيَاتُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ﴿وَمَا يَذُرُّكَ﴾﴾: -

وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ	وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا	وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي
---	--	------------------------------------

﴿الآيَاتُ الَّتِي فِيهَا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾﴾: -

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِغَةُ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ
وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ		

وَالْخُلَاصَةُ، أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ أَغْلِييَّةٌ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ  
عَامَّةَ مَا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ﴾ مَبْهَمٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍّ<sup>(١)</sup>.  
﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾ أَوْ يَتَعَطَّ ﴿فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ فَنَنْفَعُهُ هَذِهِ الْمَوْعِظَةُ، وَالتَّذْكُرُ:  
طَلَبُ الذِّكْرِ بِالْفِكْرِ، وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ عَلَى التَّذْكِيرِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ

(١) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٣ / ٤٦٥).

الْقُرْآنَ؛ فَقَالَ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَقَالَ ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ مَا يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَيَصْرِفُ عَنِ الْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>.

وَالتَّذْكِرَةُ: حُضُورُ الْمُوعِظَةِ بِاجْتِلَابِ الْفِكْرَةِ عَلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَتَرْجُرُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ.

📖 الْفَرْقُ بَيْنَ التَّذْكِرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ: -

التَّذْكِرَةُ ضِدُّ الْعَقْلَةِ، وَهِيَ طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الْفَاسِدِ، وَيُضَادُّهَا الْغَفْلَةُ، وَالْمَعْرِفَةُ تُضَادُّ الْجَهَالََةَ وَالشَّكَّ؛ فَكِلَاهُمَا مُتَعَاقِبَانِ عَلَى حَالِ الذِّكْرِ دُونَ السَّهْوِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ أَحْسَنَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ بَعْدَ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، بَلْ قَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّهُ كَانَ يُخَاطِبُهُ قَائِلًا لَهُ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»<sup>(٣)</sup>، وَلَكِنَّ هَذَا الْأَثَرَ ضَعِيفٌ.

🌸 وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ رَأَاهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ مَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ، وَعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ فُورَك» (٣ / ١٤٨).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ فُورَك» (٣ / ١٥٠).

(٣) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤١٧).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٤).

﴿وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾

﴿قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ تَصَدَّى: تَتَعَرَّضُ، وَالتَّصَدَّى: الْإِصْغَاءُ، وَأَصْلُهُ تَتَصَدَّدُ مِنَ الصَّدِّ، وَهُوَ مَا اسْتَقْبَلَكَ، وَصَارَ قُبَالَتَكَ، يُقَالُ: دَارِي صَدْدُ دَارِهِ أَيْ: قُبَالَتَهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

يَقُولُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى بِمَالِهِ، فَأَنْتَ لَهُ تَتَعَرَّضُ، رَجَاءً أَنْ يُسَلِّمَ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: الْمَعْنَى أَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وَقَالَ مُجَاهِدٌ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى﴾: هُمَا: عُتْبَةُ بْنُ رِبِيعَةَ وَشَيْبَةُ بْنُ رِبِيعَةَ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿فَوَائِدُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ﴾

هَذِهِ الْآيَةُ تُرَبِّي فِي الْمُسْلِمِ عِزَّةَ النَّفْسِ، وَعَدَمَ الْإِلْحَاحِ عَلَى أَحَدٍ، وَلَوْ

(١) «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (٤ / ٥٥٥)، «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٤).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢١٤).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٧).

(٤) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣ / ١٩٣).

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٧).

كَانَ هَذَا الْإِلْحَاحُ لِأَجْلِ دُخُولِهِ الْإِسْلَامَ، مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَضَعُ خُطُوبًا عَرِيضَةً فِي تَعَامُلِ الْإِنْسَانِ مَعَ غَيْرِهِ؛ فَلَا يَفْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا سِيَّامَا مَنْ يَظُنُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَعْلَى مِنَ النَّاسِ. وَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِلْحَاحِ عَلَى الشَّخْصِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ لَيْسَتْ مُجْدِيَةً دَائِمًا، وَإِنَّ الْهُدَايَةَ لِلْحَقِّ قَدْ لَا تَتَحَقَّقُ مَعَ وَجُودِ خَيْرِ الدُّعَاةِ، بَلْ هِيَ مَحْضُ كَرَمٍ مِنَ اللَّهِ.

❖ قَالَ الْأَلُوسِيُّ: الْإِقْبَالُ عَلَى الْمُدَبِّرِ مُخْلٌ بِالْمُرُوءَةِ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ:

لَا أَبْتَغِي وَصَلَ مَنْ لَا يَبْتَغِي صَلَاتِي وَلَا أَلِيْنَ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي

وَاللَّهُ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُصَاحِبَتِي يَوْمًا لَقُلْتُ لَهَا عَنْ صُحْبَتِي بَيْنِي <sup>(١)</sup>

❖ وَقَالَ السَّعْدِيُّ: إِقْبَالُكَ عَلَى مَنْ جَاءَ بِنَفْسِهِ مُفْتَقِرًا لِذَلِكَ مِنْكَ، هُوَ الْأَلِيقُ الْوَاجِبُ، وَأَمَّا تَصَدِّيقُكَ وَتَعَرُّضُكَ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَغْنِي الَّذِي لَا يَسْأَلُ وَلَا يَسْتَفْتِي لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي الْخَيْرِ، مَعَ تَرْكِكَ مَنْ هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ، لَا يَبْتَغِي لَكَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكَى، فَلَوْ لَمْ يَتَزَكَّ، فَلَسْتَ بِمُحَاسِبٍ عَلَى مَا عَمِلَهُ مِنَ الشَّرِّ.

فَدَلَّ هَذَا عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَشْهُورَةِ، أَنَّهُ: «لَا يُتْرَكُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ لِأَمْرِ مُوْهُومٍ، وَلَا مَصْلَحَةٌ مُتَحَقِّقَةٌ لِمَصْلَحَةٍ مُتَوَهِّمَةٍ»، وَأَنَّهُ يَبْتَغِي الْإِقْبَالَ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، الْمُفْتَقِرِ إِلَيْهِ، الْحَرِيصِ عَلَيْهِ أَزِيدُ مِنْ غَيْرِهِ <sup>(٢)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الْأَلُوسِيِّ، رُوحُ الْمَعَانِي» (١٥ / ٢٤٣).

(٢) «تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ، تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص ٩١١).

## ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي﴾

لَسْتَ مُلْزَمًا بِأَنْ تَجْعَلَهُ يَقْبَلُ الْحَقَّ، وَهَذَا لَيْسَ بِإِمْكَانِكَ أَصْلًا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وَقَرِيبٌ مِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، فَهَدَايَةُ النَّاسِ لَيْسَتْ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ.

وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ دَوْرَ النَّاصِحِ يَنْتَهِي بِبِلَاغِ النَّصِيحَةِ، وَأَنَّ قَبُولَ الْمَدْعُوِّ لِلْحَقِّ مِنْ عَدَمِهِ لَيْسَ عَلَى الدَّاعِي.

## ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾

وَهَذَا عِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ، ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ وَالْحَشْيَةُ بَدَايَةُ كُلِّ خَيْرٍ.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أَيُّ: تُعْرِضُ عَنْهُ بِوَجْهِكَ وَتُشْغَلُ بِغَيْرِهِ.

وَأَصْلُهُ: تَلَهَّى، يُقَالُ: لَهَيْتُ عَنِ الشَّيْءِ أَهْلَى، أَيُّ: تَشَاغَلْتُ عَنْهُ.

وَالْتَلَهَّى: التَّغَافُلُ<sup>(١)</sup>، فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، لِذَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿كَلَّا﴾

مَا الْأَمْرُ كَمَا تَفْعَلُ يَا مُحَمَّدُ، مِنْ أَنْ تَعْبَسَ فِي وَجْهِ مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى، وَتَتَصَدَّى لِمَنْ اسْتَغْنَى<sup>(٢)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الْفَرُطِيِّ» (١٩ / ٢١٥).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٧).



وَلَا تَعُدُّ إِلَى ذَلِكَ ثَانِيَةً.

❖ وَقَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: (كَلَّا) رَدَعُ عَنْ مُعَاوَدَةِ مَا وَقَعَ الْعِتَابُ فِيهِ<sup>(١)</sup>. وَهَذِهِ هِيَ الْمِرَّةُ الْوَحِيدَةُ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ يُقَالُ لِلرَّسُولِ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ: «كَلَّا»، وَالْأُسْلُوبُ الَّذِي تَوَلَّى بِهِ الْقُرْآنُ هَذَا الْعِتَابُ الْإِلَهِيُّ أُسْلُوبُ فَرِيدٌ، لَا يُمَكِّنُ تَرْجُمَتُهُ فِي لُغَةِ الْكِتَابَةِ الْبَشَرِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

❖ وَقَالَ الْحَسَنُ: الَّذِي فَعَلْتَهُ مِنَ التَّوَلَّى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْكُفَرَةِ، لَيْسَ مِنْ حُكْمِي<sup>(٣)</sup>.

وَالَّذِي جَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ تَرْكُ الْأَوَّلَى كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَوْ حُمِلَ عَلَى صَغِيرَةٍ لَمْ يَبْعُدْ، قَالَهُ الْقَشِيرِيُّ.  
وَالْوَقْفُ عَلَى (كَلَّا) عَلَى هَذَا الْوَجْهِ جَائِزٌ<sup>(٤)</sup>.

📖 وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

أَنَّهُ يَحِبُّ أَنْ يَتَلَقَّى النَّاسُ الْمَوَازِينَ وَالْقِيَمَ مِنَ السَّمَاءِ لَا مِنَ الْأَرْضِ، وَمِنْ الْإِعْتِبَارَاتِ السَّمَاوِيَّةِ لَا مِنَ الْإِعْتِبَارَاتِ الْأَرْضِيَّةِ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾، وَالْأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الرَّعَايَةَ وَالْإِهْتِمَامَ وَالْإِحْتِفَالَ<sup>(٥)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ جُزَيٍّ، السَّهْلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢/ ٤٥٣).

(٢) (فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ ٦/ ٨٠٨)، (بَنَحْوُهُ التَّفْسِيرُ الْعَقْدِيُّ لِحُزْرِ عَمَّ ص ٨١).

(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاتَرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٢١).

(٤) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢١٥).

(٥) (فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ ٦/ ٨١٠).

وَتَادَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا أَدَّبَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَلَمْ يُعْرِضْ بَعْدَهَا  
عَنْ فَقِيرٍ، وَلَا تَعَرَّضَ لِغَنِيِّ، وَكَذَلِكَ اتَّبَعَهُ فَضْلَاءُ الْعُلَمَاءِ، فَكَانَ الْفُقَرَاءُ فِي  
مَجْلِسِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ كَالْأَمْرَاءِ، وَكَانَ الْأَغْنِيَاءُ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا فَقَرَاءً<sup>(١)</sup>،  
وَهَذَا الْأَدَبُ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرِصَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْخٍ مَعَ طَلَابِهِ.  
وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَاتَبَ رَسُولَهُ فِي الْعَبَسِ لِشَخْصٍ أَعْمَى لَا يَرَى، فَكَيْفَ  
الْعِتَابُ لِمَنْ يَعْبَسُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَهُمْ يَرَوْنَهُمْ؟!  
وَيَدْخُلُ فِي هَذَا مَنْ أَقْبَلَ عَلَى وَعْظِ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَكَ الْفُقَرَاءَ، أَوْ أَقْبَلَ  
عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ الْغَنِيِّ، وَأَهْمَلَ الطَّالِبَ الْفَقِيرَ.  
وَسَيُبْدِلُ اللَّهُ هَذَا الطَّالِبَ الْفَقِيرَ بِشَيْخٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَأَنْفَعَ لَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ ١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ ١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ ١٤

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ١٦ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۝ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ ١٨

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۝ ١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝ ٢٠ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝ ٢١

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ۝

هَذِهِ الْآيَاتُ تَتَحَدَّثُ عَنْ جُحُودِ الْإِنْسَانِ وَكُفْرِهِ الْفَاحِشِ لِرَبِّهِ، وَهُوَ  
يُذَكِّرُهُ بِمُصْدَرِ وَجُودِهِ، وَأَصْلِ نَشَأَتِهِ، وَتَسِيرِ حَيَاتِهِ، وَتَوَلَّى رَبِّهِ لَهُ فِي  
مَوْتِهِ وَنَشْرِهِ، ثُمَّ تَقْصِيرِهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَمْرِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ جُزَيٍّ، التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢/ ٤٥٣).

(٢) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦/ ٨٠٤).

كَقَوْلِهِ ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۝٥٤ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الذِّكْر: ٥٤].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهَا تَذَكُّرٌ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:-

\* أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الْمَتَقَدِّمُ تَذَكُّرٌ أَوْ مَوْعِظَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

\* وَالْآخَرُ: أَنَّ الْقُرْآنَ تَذَكُّرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْثَرَ فِيهِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَهَذَا أَرْجَحُ؛ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُهُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ وَمَا بَعْدَهَا <sup>(١)</sup>.

❖ قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿إِنَّهَا تَذَكُّرٌ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أَي: فَمَنْ شَاءَ؛ ذَكَرَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ <sup>(٢)</sup>.

أَوْ فَمَنْ شَاءَ اتَّعَظَ بِالْقُرْآنِ.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ لِمَنْ يَتَصَدَّرُونَ لَوَعْظِ النَّاسِ أَنْ يَهْتَمُّوا بِتَفْهِيمِهِمُ الْقُرْآنَ، وَإِسْمَاعِهِمْ مَوَاعِظَهُ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا فَيَقَالُ، هَذَا الدِّينُ وَهَذَا الْقُرْآنُ وَهَذِهِ الْمَوَاعِظُ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، وَقِيلَ: الْكَلَامُ عَلَى جِهَةِ التَّهْدِيدِ وَمَعْنَاهُ: فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَهُ فَلْيَذْكُرْهُ، وَمَنْ شَاءَ إِلَّا يَذْكُرْهُ فَلَا يَذْكُرْهُ؛ كَقَوْلِهِ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ <sup>(٣)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٢٣)، «تَفْسِيرُ ابْنِ جُرَيٍّ، التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢ / ٤٥٣)

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ تَسْلَامَةً» (٨ / ٣٢١).

(٣) «لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ، تَفْسِيرُ الْقُشَيْرِيِّ» (٣ / ٦٨٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: ذَكَرَهَا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ هَذَا الشَّيْءَ<sup>(١)</sup>.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ، يَعْنِي: فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الْمَرْفُوعُ الْمُطَهَّرُ عِنْدَ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجِهٍ:

\* أَحَدُهَا: مُكْرَمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَهُ السُّدَّائِيُّ.

\* الثَّانِي: مُكْرَمَةٌ فِي الدِّينِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ.

\* الثَّالِثُ: لِأَنَّهُ نَزَلَ بِهَا كِرَامُ الْخَفْظَةِ.

\* الرَّابِعُ: أَنَّهُا نَزَلَتْ مِنْ كَرِيمٍ، لِأَنَّ كَرَامَةَ الْكِتَابِ مِنْ كَرَامَةِ صَاحِبِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَكُلُّهَا مُحْتَمَلَةٌ؛ فَيُقَالُ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ مِنْ عِنْدِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّ كَرَامَةَ الْكِتَابِ مِنْ كَرَامَةِ صَاحِبِهِ. مُكْرَمَةٌ نَزَلَ بِهَا مَلَكٌ كَرِيمٌ، مُكْرَمَةٌ إِلَى رَسُولٍ كَرِيمٍ، إِلَى أُمَّةٍ كَرِيمَةٍ، وَمُكْرَمَةٌ فِي الدِّينِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ، مُكْرَمَةٌ عَنِ التَّحْرِيفِ، وَمُكْرَمَةٌ عَنِ الدَّنَسِ<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَصْلٌ عَامٌّ وَهُوَ إِكْرَامُ الْمَصَاحِفِ بِاخْتِيَارِ أَكْرَمِ الْأَوْرَاقِ لِتُطْبَعَ

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١٤ / ٢٧٤).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٨).

(٣) «تَفْسِيرُ الْهَازِرِيِّ = النَّكْتُ وَالْعِيُونُ» (٦ / ٢٠٣).

(٤) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢١٦).

عَلَيْهَا.

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

\* أَحَدُهُمَا: مَرْفُوعَةٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَه يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ.

\* الثَّانِي: مَرْفُوعَةٌ الْقَدْرِ وَالذِّكْرِ، قَالَه الطَّبْرِيُّ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، رَفْعُ الْمَصَاحِفِ عَنِ الْأَرْضِ، وَحُرْمَةُ امْتِهَانِهَا.

﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقَاوِيلُ:

\* أَحَدُهَا: مِنَ الدَّنَسِ، قَالَه يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ.

\* الثَّانِي: مِنَ الشُّرْكِ، قَالَه السُّدِّيُّ.

\* الثَّلَاثُ: أَنَّهُ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ.

\* الرَّابِعُ: مُطَهَّرَةٌ مِنْ أَنْ تُنْزَلَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَه الْحُسَيْنُ.

\* الْخَامِسُ: لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ طَاهِرٍ مَعَ طَاهِرٍ عَلَى طَاهِرٍ.

وَكُلُّهَا صَوَابٌ؛ فَهِيَ مُطَهَّرَةٌ عَنِ الدَّنَسِ، وَمُطَهَّرَةٌ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَمُطَهَّرَةٌ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالْكَذِبِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الثَّعَلِيِّ» (٢٨ / ٤٢٤) «تَفْسِيرُ الْهَارِذِيِّ = النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٣).

(٢) «لَطَائِفُ الْإِسَارَاتِ، تَفْسِيرُ الْقُشَيْرِيِّ» (٣ / ٦٨٩)، «تَفْسِيرُ الْهَارِذِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٣).

## ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾

**سَفَرَةٌ: جَمْعُ سَافِرٍ<sup>(١)</sup>.**

(سَفَرَ) السَّيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِنْكَشَافِ وَالْجَلَاءِ.  
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: سَفَرَبَيْنَ الْقَوْمِ سِفَارَةً، إِذَا أَصْلَحَ، فَهُوَ مِنَ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَزَالَ  
مَا كَانَ هُنَاكَ مِنْ عَدَاوَةٍ وَخِلَافٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

**\* أَحَدُهَا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةَ: فِي قَوْلِهِ: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ قَالَا: كَتَبَتْ<sup>(٣)</sup>.**

❖ **قَالَ الْمُفَضَّلُ:** هُوَ مَا خُوِذَ مِنْ سَفَرٍ يُسَفَرُ سَفَرًا، إِذَا كَتَبَ،  
قَالَ الزَّجَّاجُ: إِنَّمَا قِيلَ لِلْكِتَابِ سَفَرٌ وَلِلْكَاتِبِ سَافِرٌ مِنْ تَبْيِينِ الشَّيْءِ  
وَإِيضَاحِهِ، كَمَا يُقَالُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ إِذَا وَضَحَ ضِيَآؤُهُ وَظَهَرَ، وَسَفَرَتِ  
الْمَرْأَةُ إِذَا كَشَفَتْ نِقَابَهَا.

❖ **وَيُقَالُ لِلْوَرَّاقِ: سَفِيرٌ بِلُغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ<sup>(٤)</sup>.**

**\* الثَّانِي: أَنَّهُمُ الْقُرَّاءُ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ الْأَسْفَارَ.**

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٨)

(٢) «مَقَائِيسُ اللُّغَةِ» (٨٢ / ٣)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٠٨)

(٤) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٢٥)، «تَفْسِيرُ السَّمَرْقَنْدِيِّ، بَحْرُ الْعُلُومِ» (٣ / ٥٤٧).



**\* الثَّالِثُ:** هُمُ الْمَلَائِكَةُ؛ لَأَنَّهُمْ السَّفَرَةُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالرَّحْمَةِ، قَالَ زَيْدٌ: كَمَا يُقَالُ سَفَرَ بَيْنَ الْقَوْمِ إِذَا بَلَغَ صِلَا حَا<sup>(١)</sup>.

❖ **وَقَالَ الْفَرَاءُ:** وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَاحِدُهُمْ سَافِرٌ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: سَفَرْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ إِذَا أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ، فَجُعِلَتِ الْمَلَائِكَةُ إِذَا نَزَلَتْ بِوَحْيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَأْدِيهِهِ كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ<sup>(٢)</sup>.

وُسُمِّيَ التَّفْسِيرُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ سَفِيرًا؛ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ عَمَّا فِي قَلْبِ هَذَا وَعَمَّا فِي قَلْبِ الْآخَرِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا<sup>(٣)</sup>.

❖ **وَقَالَ الطَّبْرِيُّ:** أَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُسَفِّرُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْوَحْيِ.

وَسَفِيرُ الْقَوْمِ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَهُمْ بِالصُّلْحِ، يُقَالُ: سَفَرْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ: إِذَا أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي      وَمَا أَمْشِي بِغَيْشٍ إِذْ مَشَيْتُ

وَإِذَا وَجَّهَ التَّأْوِيلُ إِلَى مَا قُلْنَا؛ اخْتَمَلَ الْوَجْهَ الَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُونَ هُمُ الْكُتُبَةُ، وَالَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُونَ هُمُ الْقُرَّاءُ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الَّتِي تَقْرَأُ الْكُتُبَ، وَتُسَفِّرُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رَسُولِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ رُسُلٌ يُصْلِحُونَ بَيْنَ اللَّهِ

(١) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٤).

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣ / ٢٣٦).

(٣) «تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ» (٦ / ١٥٨).

وَبَيْنَ النَّاسِ بِالْوَحْيِ.

وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُشَابِهَ الْمَلَائِكَةَ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ، وَيُحَاوِلُ  
الإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

📖 وَهَلْ كُلُّ الْمَلَائِكَةِ رُسُلٌ؟

لِلْعُلَمَاءِ قَوْلَانِ ذَكَرَهُمَا الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ: <sup>(١)</sup>

\* الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: كُلُّ الْمَلَائِكَةِ رُسُلٌ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِ رَبَّنَا: ﴿جَاعِلِ

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١].

\* الْقَوْلُ الثَّانِي: بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلٌ، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]؛ فَبَعْضُ الْمَلَائِكَةِ قَدْ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِيَكُونُوا

رُسُلًا، وَبَعْضُهُمْ قَائِمٌ لَا يَرْكَعُ، وَبَعْضُهُمْ رَاكِعٌ لَا يَسْجُدُ، وَبَعْضُهُمْ سَاجِدٌ

لَا يَرْفَعُ، وَقَدْ جَاءَ بِذَلِكَ حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَصَحُّ

مِنَ الْأَوَّلِ.

﴿كَرَامٌ﴾

(كَرَمَ) الْكَافُ وَالرَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ بَابَانِ: أَحَدُهُمَا شَرَفٌ فِي

الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ، أَوْ شَرَفٌ فِي خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ <sup>(٢)</sup>.

(١) «فَتْحُ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ» (٨ / ٦٩٢).

(٢) «مَقَائِيسُ اللَّغَةِ» (٥ / ١٧١).

وَالْإِكْرَامُ وَالتَّكْرِيمُ: أَنْ يُوصَلَ إِلَى الْإِنْسَانِ إِكْرَامًا، أَيُّ: نَفْعًا لَا يُلْحَقُهُ فِيهِ غَضَاضَةٌ، أَوْ أَنْ يَجْعَلَ مَا يُوصَلُ إِلَيْهِ شَيْئًا كَرِيمًا، أَيُّ: شَرِيفًا، قَالَ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الدَّارِيَات: ٢٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٢٦] أَيُّ: جَعَلَهُمْ كِرَامًا، قَالَ: ﴿كِرَامًا كَانِينَ﴾ [الْإِنْفِطَار: ١١] <sup>(١)</sup>.

وَكَذَا مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ، صَارَ كَرِيمًا شَرِيفًا، فَهُمْ أَهْلُ اللَّهِ، وَأَهْلٌ لِأَنْ يُؤْمُوا النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ، وَأَهْلٌ لِلتَّقْدِيمِ فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَحَتَّى فِي الدَّفْنِ يُقَدَّمُ الْأَكْثَرُ قُرْآنًا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ.

وَفِي الْكِرَامِ أَرْبَعَةٌ أَقَاوِيلَ:

\* أَحَدُهَا: كِرَامٌ عَلَى رَبِّهِمْ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ.

\* الثَّانِي: كِرَامٌ عَنِ الْمَعَاصِي فَهُمْ يَرْفَعُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْهَا، قَالَهُ الْحَسَنُ. كَقَوْلِهِ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

\* الثَّلَاثُ: يَتَكَرَّمُونَ عَلَى مَنْ بَاشَرَ زَوْجَتَهُ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ دِفَاعًا عَنْهُ وَصِيَانَةً لَهُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الضَّحَّاكِ.

(١) «المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٧٠٧).

(٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١ / ٥٥٩).

**\*الرَّابِعُ:** أَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ مَنَافِعَ غَيْرِهِمْ عَلَى مَنَافِعِ أَنْفُسِهِمْ<sup>(١)</sup>.

❖ وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: خُلِقُوا كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلَقُواهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ. وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ فَقَدْ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمِثْلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ»<sup>(٣)</sup> وَمَعْنَى مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، أَيَّ إِنَّهُ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِمْ فِي كِتَابَةِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ، أَوْ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى الْقُرْآنِ مِثْلُ أَجُورِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

### ﴿بِرُّو﴾

(بِرٌّ) الْبَاءُ وَالرَّاءُ فِي الْمُضَاعَفِ أَرْبَعَةُ أَصُولٍ: الصِّدْقُ، وَحِكَايَةُ صَوْتٍ، وَخِلَافُ الْبَحْرِ، وَنَبَتْ الْبُرِّ.

(١) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٤).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ تَسْلَامَةً» (٨ / ٣٢١).

(٣) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦ / ١٦٦).

(٤) «تَفْسِيرُ ابْنِ جُزَيٍّ، التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢ / ٤٥٣).

فَأَمَّا الصَّدَقُ فَفَقَوْهُمُ: صَدَقَ فُلَانٌ وَبَرٌّ، وَبَرٌّ يَمِينُهُ: صَدَقْتُ، وَأَبْرَهَا: أَمْضَاهَا عَلَى الصَّدَقِ.

وَتَقُولُ: بَرَّ اللَّهُ حَجَّكَ وَأَبْرَهُ، وَحَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ، أَيُّ: قُيِّلَتْ قُبُولَ الْعَمَلِ الصَّادِقِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: يَبِرُّ رَبُّهُ، أَيُّ: يُطِيعُهُ، وَهُوَ مِنَ الصَّدَقِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] <sup>(١)</sup>.

الْبِرُّ: خِلَافُ الْبَحْرِ، وَتُصَوِّرُ مِنْهُ التَّوَسُّعُ فَاشْتَقَّ مِنْهُ الْبِرُّ، أَيُّ: التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيُقَالُ: بَرَّ الْعَبْدُ رَبَّهُ، أَيُّ: تَوَسَّعَ فِي طَاعَتِهِ، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ: التَّوَسُّعُ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَضِدُّهُ الْعُقُوقُ، وَيُسْتَعْمَلُ الْبِرُّ فِي الصَّدَقِ؛ لِكَوْنِهِ بَعْضُ الْخَيْرِ الْمُتَوَسَّعِ فِيهِ، يُقَالُ: بَرَّ فِي قَوْلِهِ، وَبَرَّ فِي يَمِينِهِ، وَجَمْعُ الْبَارِّ: أَبْرَارٌ وَبَرَرَةٌ، قَالَ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣]، وَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ﴾ [المطففين: ١٨]، وَقَالَ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿كَرَامٍ بَرَرَةٍ﴾؛ فَبَرَرَةٌ خُصَّ بِهَا الْمَلَائِكَةُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَبْلَغُ مِنْ أَبْرَارٍ؛ فَإِنَّهَا جَمْعُ بَرٍّ، وَأَبْرَارٌ جَمْعُ بَارٍّ، وَبَرٌّ أَبْلَغُ مِنْ بَارٍّ، كَمَا أَنَّ عَدْلًا أَبْلَغُ مِنْ عَادِلٍ <sup>(٢)</sup>.

(١) «مَقَائِيسُ اللَّغَةِ» (١ / ١٧٧).

(٢) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ١١٤).

﴿وَفِي (بَرَّةٍ) ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ:﴾

\* أَحَدُهَا: مُطِيعِينَ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

\* الثَّانِي: صَادِقِينَ وَاصِلِينَ، قَالَهُ الطَّبْرِيُّ.

\* الثَّالِثُ: مُتَّقِينَ مُطَهَّرِينَ، قَالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ.

\* الرَّابِعُ: أَنَّ الْبَرَّةَ: مَنْ تَعَدَّى خَيْرُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَالْخَيْرَةُ: مَنْ كَانَ خَيْرُهُمْ مُقْصُورًا عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>.

وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أُرْشِدَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَالْأَصْلُ فِي حَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ عَامِلًا بِهِ مُتَّصِفًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

﴿قُلِ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُهُ﴾

﴿قُلِ﴾

(قَتَلَ) الْقَافُ وَالتَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِذْلَالٍ وَإِمَاتَةٍ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي (قَتَلَ) وَجْهَانِ:

\* أَحَدُهُمَا: عَذَّبَ.

\* الثَّانِي: لُعِنَ.

(١) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٥)

(٢) «مَقَايِيسُ اللَّغَةِ» (٥ / ٥٦)

## وَفِي (الْإِنْسَانِ) ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

\* أَحَدُهَا: أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى كُلِّ كَافِرٍ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

❖ وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: دُعَاءٌ عَلَى اسْمِ الْجَنَسِ، وَهُوَ عُمُومٌ يُرَادُّ بِهِ الْخُصُوصُ، وَالْمَعْنَى: قُتِلَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، وَمَعْنَى قُتِلَ أَيُّ: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُدْعَى عَلَيْهِ بِهَذَا<sup>(١)</sup>.

قُتِلَ الْإِنْسَانُ الْإِنْسُ بِنَفْسِهِ، النَّاسِي لِرَبِّهِ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى غَيْرِهِ الْمُعْجَبُ بِشَمَائِلِهِ الَّتِي أَبْدَعَهَا لَهُ خَالِقُهُ، حَصَلَ قَتْلُهُ بِلَعْنِهِ وَطَرْدِهِ، وَفَرَّغَ مِنْهُ بِأَيْسَرِ سَعْيٍ وَأَسْهَلِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ يَصِحُّ ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى الْفَسَادِ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى النَّقَائِصِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>.

\* الثَّانِي: أَنَّهُ أُمِّيَّةٌ بِنُ خَلْفٍ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

\* الثَّلَاثُ: أَنَّهُ عُتْبَةٌ بِنُ أَبِي هَبٍ حِينَ قَالَ: إِنِّي كَفَرْتُ بِرَبِّ النَّجْمِ إِذَا هَوَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ) فَأَخَذَهُ الْأَسَدُ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ وَالْكَلْبِيُّ<sup>(٣)</sup>.

(١) (المحرر الوجيز، ١٠/ ١٣٦).

(٢) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢١/ ٢٥٩).

(٣) «تفسير الماوردي، التكت والعيون» (٦/ ٢٠٥)، «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/



﴿عَنْ أَبِي نَوْفَلٍ بْنِ أَبِي عَفْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ هَبُّ بْنُ أَبِي هَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ» فَخَرَجَ فِي قَافِلَةٍ يُرِيدُ الشَّامَ فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالُوا لَهُ: كَلَّا، فَحَطُّوا مَتَاعَهُمْ حَوْلَهُ وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ فَجَاءَ الْأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ فَذَهَبَ بِهِ «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُحَرِّجَاهُ»<sup>(١)</sup>، وَحَسَنَةُ الْخَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ<sup>(٢)</sup>.

﴿قَاعِدَةٌ﴾

الْغَالِبُ فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ الْمَكِّيُّ أَنَّهُ الْكَافِرُ<sup>(٣)</sup>.  
قَالَ مُجَاهِدٌ: «مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ ﴿قُتِلَ الْإِنْسَنُ﴾ فَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ الْكَافِرُ»<sup>(٤)</sup>.  
وَكُلُّ «قُتِلَ» فِي الْقُرْآنِ فَمَعْنَاهُ: لُعِنَ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ ثَلَاثَةُ أَوْجِهٍ:

\* أَحَدُهُمَا: التَّعَجُّبُ مِنْ كُفْرِهِ، وَالْمَعْنَى: اعْجَبُوا مِنْ كُفْرِ الْإِنْسَانِ  
مَعَ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ.

(١) «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢ / ٥٨٨).

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ» (٤ / ٣٩).

(٣) «تَفْسِيرُ جُزْءِ عَمٍّ لِلشَّيْخِ مُسَاعِدِ الطَّيَّارِ» (ص ٢٨٣)، (التَّفْسِيرُ الْعَقْدِيُّ لِجُزْءِ عَمٍّ ص ٨٣).

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١٠).

(٥) «الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النَّهَايَةِ» (١٢ / ٨٠٦٠).

**\* وَالْآخِرُ: مَا الَّذِي أَكْفَرَهُ، أَيُّ شَيْءٍ أَكْفَرَهُ؟ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِفْهَامِ،**  
قَالَهُ السُّدِّيُّ وَيَحْيَى بْنُ سَلَامٍ.

**\* الثَّالِثُ: مَا أَلْعَنَهُ، قَالَهُ قَتَادَةُ<sup>(١)</sup>.**

**قَاعِدَةٌ:** وَعَادَةُ الْعَرَبِ إِذَا تَعَجَّبُوا مِنْ شَيْءٍ قَالُوا قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَحْسَنَهُ،  
وَأَخْزَاهُ اللَّهُ مَا أَظْلَمَهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الْإِنْسَانَ  
الْكَافِرَ رَبُّهُ حَتَّى يَتَكَبَّرَ، وَيَتَعَظَّمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَالْإِفْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ، ثُمَّ  
بَيَّنَّ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - الَّذِي مِنْهُ خَلَقَهُ<sup>(٣)</sup>.

✽ وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: اسْتِفْهَامٌ عَلَى مَعْنَى التَّقْرِيرِ عَلَى تَفَاهَةِ الشَّيْءِ  
الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْهُ<sup>(٤)</sup>.

﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ، فَقَدَرَهُ ﴾

أَتَنْسَى خَلْقَكَ يَا ابْنَ آدَمَ؟ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ:  
قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٣]، وَقَالَ: مِنْ نُطْفَةٍ  
أَمْشَاجٍ [الْإِنْسَان: ٢] وَقَالَ: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى ﴾ [الْقِيَامَةُ: ٣٧].

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١٠)، «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٥).

(٢) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٥).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١١).

(٤) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ، الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥ / ٤٣٨).

(نُطِفَ) النُّونُ وَالطَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ أَحَدُهُمَا نُدُوَّةٌ وَبَلَلٌ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَالنُّطْفَةُ: الْمَاءُ الصَّافِي، وَيُعَبَّرُ بِهَا عَنْ مَاءِ الرَّجُلِ <sup>(١)</sup>.  
 ﴿قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: «عَجَبًا لِابْنِ آدَمَ يَتَكَبَّرُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ  
 مَجْرَى الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ» <sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالَ الْحَسَنُ: عَجَبًا لِابْنِ آدَمَ، يَغْسِلُ الْخُرَّ يَدَيْهِ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ  
 ثُمَّ يَتَكَبَّرُ! يُعَارِضُ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ <sup>(٣)</sup>.

﴿خَلَقَهُ، فَقَدَّرَهُ﴾

خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ، كَمَا قَالَ: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ  
 رَجُلًا﴾، وَقَالَ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاهُ فَعَدَلَكَ﴾.

﴿قَالَ الرَّاعِبُ: إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَوْجَدَهُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ، فَيُظْهِرُ حَالًا فَحَالًا  
 إِلَى الْوُجُودِ بِالصُّورَةِ <sup>(٤)</sup>.

﴿وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: أَحْوَالًا: نُطْفَةٌ تَارَةً، ثُمَّ عَلَقَةٌ أُخْرَى، ثُمَّ مُضْغَةٌ، إِلَى  
 أَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالُهُ، وَهُوَ فِي رَحِمِ أُمِّهِ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ يَسْرُهُ  
 لِلْسَّبِيلِ، يَعْنِي لِلطَّرِيقِ <sup>(٥)</sup>.

(١) «مَقَائِيسُ اللُّغَةِ» (٥ / ٤٤٠)، «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٨١١).

(٢) «التَّوَاضُّعُ وَالْحُمُولُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا» (ص ٢٥١).

(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٦ / ٣٤٦).

(٤) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٦٥٩).

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١١).

## ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾

**السَّبِيلُ:** الطَّرِيقُ الَّذِي فِيهِ سُهُولَةٌ، وَجَمْعُهُ: سُبُلٌ، قَالَ: ﴿لِيَصُدُّوهُمْ  
عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الزُّخْرُفُ: ٣٧]، يَعْنِي بِهِ طَرِيقَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْجِنْسِ إِذَا أُطْلِقَ،  
يَخْتَصُّ بِمَا هُوَ الْحَقُّ، وَعَلَى ذَلِكَ: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾، وَيُسْتَعْمَلُ السَّبِيلُ  
لِكُلِّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا<sup>(١)</sup>.

﴿قَوْلُهُ (السَّبِيلَ) فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

\* **أَحَدُهَا:** خُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ  
وَالسُّدِّيُّ، وَقَتَادَةُ.

﴿وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: الْأَوَّلَى فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ:  
الطَّرِيقُ، وَهُوَ الْخُرُوجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَسْرَهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أَشْبَهُهُمَا  
بِظَاهِرِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ مِنَ اللَّهِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا عَنْ صِفَتِهِ خَلْقَهُ،  
وَتَدْبِيرِهِ جِسْمَهُ، وَتَضْرِيفِهِ إِيَّاهُ فِي الْأَحْوَالِ؛ فَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ أَوْسَطُ ذَلِكَ  
نَظِيرَ مَا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ<sup>(٢)</sup>؛ فَقَبْلَهُ ذَكَرَ خَلْقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ وَانْتِقَالَهُ مِنْ حَالٍ إِلَى  
حَالٍ فِي الرَّحِمِ، فَوَجَبَ أَنْ يُتْبِعَهُ بِذِكْرِ خُرُوجِهِ مِنَ الرَّحِمِ؛ لِيَكُونَ الْكَلَامُ  
كُلُّهُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) «المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٣٩٥).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١١٣ / ٢٤).

(٣) «الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢ / ٨٠٦١).

❖ وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ: أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ هُوَ الْخُرُوجُ مِنَ الرَّحِمِ<sup>(١)</sup>.

❖ وَقَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: هَذَا أَزْجَحُ؛ لِعَطْفِهِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* **الثَّانِي:** سَبِيلُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، وَكَقَوْلِ رَبَّنَا: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* **الثَّالِثُ:** سَبِيلُ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَهَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ.

\* **الرَّابِعُ:** سَبِيلُ مَنَافِعِهِ وَمَضَارِّهِ<sup>(٤)</sup>.

❖ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: يَسَّرَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَا خَلَقَهُ لَهُ، وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ. وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ ﷺ: «اعْمَلُوا؛ فِكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»<sup>(٥)</sup>.

❖ وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ

(١) «تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ» (٦ / ١٥٩).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ جُزَيٍّ، السَّهْلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢ / ٤٥٣).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ، جَامِعُ الْبَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤ / ١١٢).

(٤) «تَفْسِيرُ الْأَوْرَدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٦).

(٥) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦ / ١٧١)، «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤ / ٢٠٤٠)، «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ»

(٢٨ / ٤٢٩).

النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [النیل: ٦] الآية (١).

﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾

أَقْبَرَهُ أَي: جَعَلَ لَهُ مَكَانًا لِيُقْبَرَ فِيهِ، وَمَكَانُ الْقُبُورِ يُسَمَّى مَقْبَرَةً وَمَقْبَرَةٌ (٢).

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

\* أَحَدُهُمَا: جَعَلَهُ ذَا قَبْرِ يُدْفَنُ فِيهِ، قَالَهُ الطَّبْرِيُّ (٣).

\* الثَّانِي: جَعَلَ مَنْ يَقْبَرُهُ وَيُؤَارِيهِ، قَالَهُ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ (٤).

﴿قَالَ الْفَرَاءُ: جَعَلَهُ مَقْبُورًا، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّنْ يُلْقَى لِلْسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ، وَلَا مِمَّنْ يُلْقَى فِي النَّوَارِيسِ؛ فَالْقَبْرُ مِمَّا أَكْرَمَ بِهِ الْمُسْلِمُ (٥)، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٦ / ١٧١)، «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤ / ٢٠٤٠).

(٢) «مَقَائِيسُ اللُّغَةِ» (٥ / ٤٨).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ، جَامِعُ الْبَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤ / ١١٣).

(٤) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، الثَّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٦).

(٥) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ» (٣ / ٢٣٧).

وَجُوبُ دَفْنِ الْمَوْتَى <sup>(١)</sup>.

وَأَشَارَ إِلَى إِجَابِ الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّجْهِيزِ بِالْفَاءِ الْمُعْتَبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَقْبِرْهُ﴾<sup>(٢)</sup> أَيْ: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا فَغَيَّيْهِ فِيهِ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِ؛ تَكْرِيمَةً لَهُ وَصِيَانَةً عَنِ السَّبَاعِ.

**وَالْإِقْبَارُ:** جَعَلَكَ لِلْمَيِّتِ قَبْرًا وَإِعْطَاؤُكَ الْقَتِيلَ لِأَهْلِهِ لِيُدْفَنُوهُ، وَالْمَعْنَى: الْإِمْتِنَانُ بِأَنَّهُ جَعَلَ لِلْإِنْسَانِ مَوْضِعًا يَصْلُحُ لِدَفْنِهِ وَجَعَلَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، بِحَيْثُ يُتِمَّكَنُ مِنْ دَفْنِهِ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ يَتَفَتَّتُ مَعَ التَّنِّ وَنَحْوِهِ مِمَّا يُنْمَعُ مِنْ قُرْبَانِهِ، أَوْ جَعَلَهُ بِحَيْثُ يُتَهَاوَنُ بِهِ فَلَا يُدْفَنُ؛ كَبَقِيَّةِ الْحَيَوَانَاتِ؛ فَقَدْ عُرِفَ بِهَذَا أَنَّ أَوَّلَ الْإِنْسَانِ نُطْفَةً مَذِرَةً، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْعُذْرَةَ، فَمَا شَرَفَهُ بِالْعِلْمِ إِلَّا الَّذِي أَبْدَعَهُ وَصُورَهُ، وَذَلِكَ مُوجِبٌ لِأَنَّهُ يَشْكُرُهُ لَا أَنَّهُ يَكْفُرُهُ <sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾: وَفَتْمًا شَاءَ ﴿أَنْشَرَهُ﴾: أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

ثُمَّ إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْشَرَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَأَحْيَاهُ، يُقَالُ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ، بِمَعْنَى: أَحْيَاهُ <sup>(٣)</sup>.

وَلَمَّا كَانَتْ مُدَّةُ الْبَرْزَخِ طَوِيلَةً، وَكَانَ الْبَعْثُ أَمْرًا مُحَقَّقًا غَيْرَ مَعْلُومٍ الْوَقْتِ بِالْعَيْنِ بغيره تَعَالَى، عَبَّرَ عَنِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ بِأَدَايِ التَّرَاخِي

(١) «الْإِكْلِيلُ فِي اسْتِنبَاطِ التَّنْزِيلِ» (ص ٢٨١).

(٢) «نَظْمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٦٢).

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ، جَامِعُ الْبَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤ / ١١٤).



وَالْتَحَقَّقِ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لَهُ تَهْدِيدًا: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُهُ﴾ وفيه قولان:

\* **أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ الْكَافِرُ، لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ، قَالَهُ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفِ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٧٢].

❖ **قَالَ الْقُرْطُبِيُّ:** إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُخْبِرَ بِالنُّشُورِ قَالَ: ﴿وَلَيْنُ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠] رَبَّمَا يَقُولُ قَدْ قَضَيْتُ مَا أَمَرْتُ بِهِ، فَقَالَ: كَلَّا لَمْ يَقْضِ شَيْئًا بَلْ هُوَ كَافِرٌ بِي وَبِرُسُولِي، وَقَالَ الْحَسَنُ: أَيُّ: حَقًّا لَمْ يَقْضِ: أَيُّ: لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ بِهِ<sup>(٢)</sup>.

\* **الثَّانِي:** أَنَّهُ عَلَى الْعُمُومِ فِي الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ<sup>(٣)</sup>؛ فَالْمُسْلِمُ لَا يَنْفَكُ الْإِنْسَانُ عَنْ نَوْعِ تَقْصِيرٍ قَطُّ؛ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تَخْضُوا»<sup>(٤)</sup>، وَعَلَى قَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «نَظُمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٦٢).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢١٩).

(٣) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٦).

(٤) «سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ» (١ / ١٨٤).

(٥) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ. «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» (٤ / ٢٤٠).

﴿وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: لَا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ، وَقَالَ الْحَارِثُ: كُلُّ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.﴾

﴿وَقَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَيْسَ الْأَمْرُ مَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَنَّهُ قَدْ آدَى حَقَّ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، لَمْ يَقْضِ ذَلِكَ، وَلَا يَقْدِرَ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.﴾

﴿وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: الْوَقْفُ عَلَى ﴿كَلَّا﴾ قَبِيحٌ، وَالْوَقْفُ عَلَى ﴿أَمْرُهُ﴾ ﴿وَأَنْشَرُهُ﴾ جَيِّدٌ، فَ﴿كَلَّا﴾ عَلَى هَذَا بِمَعْنَى حَقًّا<sup>(٣)</sup>.﴾

وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْفِي الْغُرُورَ بِالطَّاعَةِ، فَكَيْفَ يَغْتَرُّ مَنْ لَا يَنْفَكُ عَنِ التَّقْصِيرِ؟!﴾

وَلَمَّا فَصَّلَ تَعَالَى النِّعَمَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِحُدُوثِهِ، تَأَثَّرَهَا بِتَعْدَادِ النِّعَمِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِبَقَائِهِ<sup>(٤)</sup>.﴾

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١٥).

(٢) «الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢ / ٨٠٦٢).

(٣) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢٢٠).

(٤) «تَفْسِيرُ الْقَاسِمِيِّ، مُحَاسِنُ التَّأْوِيلِ» (٩ / ٤٠٩).

﴿ فَقَالَ: ﴾

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾  
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضَبًّا ﴿٢٨﴾  
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَعَالَى لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ ۚ ﴾

قَوْلُهُ: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:

\* أَحَدُهُمَا: إِلَى طَعَامِهِ الَّذِي يَأْكُلُهُ وَتَحْيَا نَفْسُهُ بِهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ؟!

﴿ وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: ذَهَبَ الْجَمْهُورُ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: فَلْيَنْظُرِ إِلَى مَطْعُومَاتِهِ وَكَيْفَ يَسْرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهَذِهِ الْوَسَائِطِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ صَبِّ الْمَاءِ وَشَقِّ الْأَرْضِ <sup>(١)</sup>. ﴾

﴿ وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: كَيْفَ قَدَرَهُ رَبُّهُ، وَدَبَّرَهُ لَهُ لِيَكُونَ لَهُ آيَةٌ وَعِبْرَةٌ <sup>(٢)</sup>. ﴾

\* الْقَوْلُ الثَّانِي: مَا يَخْرُجُ مِنْهُ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ؟ ثُمَّ كَيْفَ صَارَ بَعْدَ حِفْظِ الْحَيَاةِ وَمَوْتِ الْجَسَدِ <sup>(٣)</sup>. ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: ذَهَبَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ: النَّظَرُ إِلَى طَعَامِهِ إِذَا صَارَ رَجِيْعًا؛ لِيَتَأَمَّلَ حَيْثُ تَصِيرُ

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ» (٥ / ٤٣٩).

(٢) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٢٣).

(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرَدِيِّ، الثَّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٧).

عَاقِبَةُ الدُّنْيَا، وَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَتَفَانَىٰ أَهْلُهَا وَتَسْتَدِيرُ رَحَاهَا<sup>(١)</sup>.

✽ وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ رحمه الله قَالَ لَهُ: «يَا ضَحَّاكُ، مَا طَعَامُكَ؟» قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اللَّحْمُ، وَاللَّبَنُ، قَالَ: «ثُمَّ يَصِيرُ إِلَىٰ مَاذَا؟»، قَالَ: إِلَىٰ مَا قَدْ عَلِمْتُ، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ ضَرَبَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا أَضَافَهُ عَابِدٌ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَغِيْفًا قَفَّارًا فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَحْشَنَهُ فَقَالَ لَهُ: كُلْهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُنْعِمْ بِهِ وَكَمَلَهُ حَتَّىٰ سَخَّرَ فِيهِ ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ عَامِلًا؛ الْمَاءُ وَالرَّيْحُ وَالشَّمْسُ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

✽ وَعَنْ أَبِي الْوَلِيدِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ الرَّجُلِ يَدْخُلُ الْخُلَاءَ، فَيَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ؟ قَالَ: يَأْتِيهِ الْمَلِكُ فَيَقُولُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَا بَخِلْتَ بِهِ إِلَىٰ مَا صَارَ!<sup>(٤)</sup>.

✽ وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، انْظُرْ إِلَىٰ مَا بَخِلْتَ بِهِ إِلَىٰ مَا صَارَ!<sup>(٥)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ» (٥ / ٤٣٩).

(٢) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٢٥ / ٢٥ ط الرسالة).

(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ» (٥ / ٤٣٩).

(٤) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٣٩).

(٥) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٣٩).

وَهَذِهِ الْآيَاتُ تُوجِّهُ الْقَلْبَ الْبَشَرِيَّ إِلَى أَمَسِّ الْأَشْيَاءِ بِهِ وَهُوَ طَعَامُهُ وَطَعَامُ حَيَوَانِهِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ الطَّعَامِ مِنْ تَدْبِيرِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ لَهُ؛ كَتَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ فِي نَشْأَتِهِ. <sup>(١)</sup> فَكَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُ: إِنْ اسْتَبَعَدْتَ الْبَعْثَ وَاسْتَعْرَبْتَهُ وَكَانَ عِنْدَكَ شَيْئًا عَجِيبًا؛ فَأَنْظُرْ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَبِقُدْرَتِي الَّتِي أَحْيَيْتُ بِهَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، أَخْرَجْتُ النَّبَاتَ مِنْهَا؛ فِيهَا أَبْعَثُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ.

### ﴿أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ صَبًّا﴾

الْمَطَرُ مِنَ السَّحَابِ.

### ﴿ثُمَّ سَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾

كَذَا الْمَوْتُ ثُمَّ النُّشُورُ بَعْدَ الْمَوْتِ، تَكُونُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْهَا كَمَا تَخْرُجُ هَذِهِ الْحَبَّةُ، فَاسْتَدَلَّ اللَّهُ بِأَحْيَاءِ النَّبَاتَاتِ عَلَى إِحْيَاءِ الْإِنْسَانِ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ تَأْكُلُهُ وَتَدَّخِرُهُ، ﴿وَعِنْبًا﴾ فَكِهَةً تَأْكُلُهَا ﴿وَقَضْبًا﴾ الْقَضْبُ: هُوَ مَا يَقَطَعُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، تُقَطَّعُهُ فَيَنْمُو؛ كَالْبَرَسِيمِ، تُقَطَّعُهُ فَيَنْمُو، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِقَضْبِهِ بَعْدَ ظُهُورِهِ. <sup>(٢)</sup>

❖ وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ: أَصْلُ صَحِيحٍ يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الشَّيْءِ، وَالْقَضِيبُ: الْغَضْنُ، وَالْقَضْبُ: الرُّطْبَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُقَضَّبُ.

(١) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦ / ٨٠٤).

(٢) «تَفْسِيرُ الْهَازِرْدِيِّ = النُّكْتُ وَالْعُيُونُ» (٦ / ٢٠٧).

﴿وَعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَضَبًا﴾ قَالَ: الْقَضْبُ: الْعَلْفُ<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ قَالُوا: الْقَضْبُ: الرِّطْبَةُ<sup>(٢)</sup>.

### ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾

﴿وَحَدَائِقَ﴾ جَمْعُ حَدِيقَةٍ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتُ مَاءٍ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ تَشْبِيْهَا بِحَدَقَةِ الْعَيْنِ فِي الْهَيْئَةِ وَحُصُولِ الْمَاءِ فِيهَا. ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النَّمْل: ٦٠].

وَالْحَدِيقَةُ: هِيَ مَا كَانَ لَهَا سُورٌ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: «كُلُّ شَيْءٍ أُحِيطَ عَلَيْهِ مِنْ نَخِيلٍ أَوْ شَجَرٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُحَاطَةً، وَمَا لَمْ يُحَاطَ فَلَيْسَ بِحَدِيقَةٍ»<sup>(٤)</sup>.  
﴿وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْحَدِيقَةُ: أَرْضٌ ذَاتُ شَجَرٍ مُثْمِرٍ، وَالْحَدِيقَةُ مِنَ الرِّيَاضِ: مَا أَحْدَقَ بِهَا حَاجِزٌ أَوْ أَرْضٌ مُرْتَفَعَةٌ<sup>(٥)</sup>.

### ﴿غُلْبًا﴾

وَالْأَغْلَبُ: الْغَلِيظُ الرَّقَبَةِ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَغْلَبٌ، وَامْرَأَةٌ غُلْبَاءُ، وَالْجَمْعُ: غُلْبٌ.

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١٦).

(٢) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣ / ٢٢٩).

(٣) «الْمُقَرَّدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص ٢٢٣).

(٤) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ» (٢ / ٢٩٧) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١١٦).

(٥) «الْعَيْنُ» (٣ / ٤١).

﴿وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدُ: الْغُلْبُ: هُوَ الْغَلِيظُ الْمُلتَفُّ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَفِيكِهِ﴾ لَكُمْ ﴿وَأَبَا﴾ الْأَبُّ: الْمَرْعَى عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورِ<sup>(٢)</sup>،  
لِأَنْعَامِكُمْ، ﴿مَتَعَا﴾ هَذَا كُلُّهُ ﴿لَكُمْ﴾ وَلَا تَنَعِمُوا.

﴿وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَبِّ فَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي،  
وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ  
الْخَطَّابِ يَقُولُ: ﴿قَابَتْنَاهَا حَبًا﴾<sup>(٢٧)</sup> وَعِنَبًا وَقَضْبًا<sup>(٢٨)</sup> وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا<sup>(٢٩)</sup> وَحَدَائِقَ  
عُلْبًا<sup>(٣٠)</sup> وَفِيكِهِ وَأَبَا﴾ [عَبَسَ: ٢٨] قَالَ: فَكُلُّ هَذَا قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الْأَبُّ، ثُمَّ  
نَقَضَ عَصًا كَانَتْ فِي يَدِهِ فَقَالَ: «هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ التَّكْلُفُ اتَّبَعُوا مَا تَبَيَّنَ  
لَكُمْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ»<sup>(٤)</sup>.

**فَإِنْ قُلْتَ:** فَهَذَا يُشَبِّهُ النُّهْيَ عَنْ تَتَبُّعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْبَحْثِ عَنْ  
مُشْكِلَاتِهِ قُلْتُ: لَمْ يَذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ كَانَتْ أَكْبَرُ هِمَّتِهِمْ عَاكِفَةً  
عَلَى الْعَمَلِ، وَكَانَ الشَّاعِلُ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ لَا يُعْمَلُ بِهِ تَكْلُفًا عِنْدَهُمْ،

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١١٧ / ٢٤).

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ جُزَيٍّ، السَّهْلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٤٥٤ / ٢).

(٣) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (١٣٦ / ٦)، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: رَوَى مِنْ طَرِيقَيْنِ يُقْوَى  
أَحَدُهُمَا الْآخَرُ.

(٤) قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى  
الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٥٥٩ / ٢).



فَأَرَادَ أَنَّ الْآيَةَ مُسَوِّقَةٌ فِي الْإِمْتِنَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِمَطْعَمِهِ وَاسْتِدْعَاءِ شُكْرِهِ، وَقَدْ عَلِمَ مِنْ فَحْوَى الْآيَةِ أَنَّ الْأَبَّ بَعْضُ مَا أَنْبَتُهُ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ؛ مَتَاعًا لَهُ أَوْ لِإِنْعَامِهِ، فَعَلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهْمٌ مِنَ النُّهُوضِ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى مَا بَيَّنَّ لَكَ، وَلَمْ يُشْكَلْ بِمَا عَدَدَ مِنْ نِعَمِهِ وَلَا تَشَاغَلَ عَنْهُ بِطَلَبِ مَعْنَى الْأَبِّ وَمَعْرِفَةِ النَّبَاتِ الْخَاصِّ الَّذِي هُوَ اسْمُ لَهُ، وَكَتَفَ بِالْمَعْرِفَةِ الْإِجْمَالِيَّةِ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ، ثُمَّ وَصَّى النَّاسَ بِأَنْ يُجْزُوا عَلَى هَذَا السَّنَنِ فِيمَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مِنْ مُشْكَلاتِ الْقُرْآنِ <sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا ذَكَرَ عَجَائِبَ الصَّنْعِ فِي الطَّعَامِ، وَكَانَ ذَلِكَ يُقْطَفُ فَيَعُودُ، وَلَا سِيَّمَا الْمَرْعَى؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْهِ الْخَرِيفُ فَيَنْشَفُ، ثُمَّ يَتَحَطَّمُ مِنَ الرِّيَّاحِ، وَيَتَفَرَّقُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَطَرَ فَيَجْمَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ صَارَ تُرَابًا، ثُمَّ يُنْبِتُهُ كَمَا كَانَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِثْلَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى سَوَاءً، فَتَحَقَّقَ لِذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِ الْإِنْشَارِ بَعْدَ الْإِقْبَارِ <sup>(٢)</sup>.

وَلَمَّا ذَكَرَ أَمْرَ الْمَعَاشِ؛ ذَكَرَ أَمْرَ الْمَعَادِ؛ لِيَتَزَوَّدُوا لَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَبِالْإِنْفَاقِ بِمَا ائْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ <sup>(٣)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الرَّخْمِيزِيِّ، الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤ / ٧٠٥).

(٢) «نَظْمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٦٨).

(٣) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩ / ٢٢٤).

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۚ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥)

وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)

رَهَقَهَا قَرَّةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ ۚ﴾

تَحَدَّثُ الْآيَاتُ عَنِ «الصَّاخَّةِ» يَوْمَ تَجِيءُ بِهِوْهَا، الَّذِي يَتَجَلَّى فِي لَفْظِهَا، كَمَا تَتَجَلَّى آثَارُهَا فِي الْقَلْبِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي يَذْهَلُ عَمَّا عَدَاهَا، وَفِي الْوُجُوهِ الَّتِي تُحَدِّثُ عَمَّا دَهَاهَا <sup>(١)</sup>.

📖 مَعْنَى الصَّاخَّةِ فِي اللَّغَةِ:-

(صَخَّ) الصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ، مِنْ ذَلِكَ الصَّاخَةُ يُقَالُ: إِنَّهَا الصَّيْحَةُ تُصَمُّ الْأَذَانَ، وَيُقَالُ: ضَرَبْتُ الصَّخْرَةَ بِحَجَرٍ فَسَمِعْتُ لَهَا صَخًا <sup>(٢)</sup>.

**الصَّاخَّةُ:** صَيْحَةٌ تُصَخُّ الْأَذَانَ فَتُصَمُّهَا، وَيُقَالُ: هِيَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، يُقَالُ: رَمَاهُ اللَّهُ بِصَّاخَةٍ، أَيْ: بِدَاهِيَةٍ وَأَمْرٍ عَظِيمٍ <sup>(٣)</sup>.

(١) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦ / ٨٠٤).

(٢) «مَقَائِيسُ اللَّغَةِ» (٣ / ٢٨١).

(٣) «الْعَيْنُ» (٤ / ١٣٥).

## 📖 أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ:-

وَالصَّاحَّةُ: صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ تُصَمُّ عَنِ الدُّنْيَا،  
وَتُسْمَعُ أُمُورَ الْآخِرَةِ.

وَتَصْخُ الْأَسْمَاعُ: أَيُّ تَصْمُّهَا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا مَا يُدْعَى بِهِ لِلْإِحْيَاءِ، وَهِيَ  
صَرَخَةٌ عَظِيمَةٌ تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِ الْأَسْمَاعِ بِهَا حَتَّى تَكَادُ تَصْمُّهَا لِشِدَّتِهَا،  
سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَصْخُ الْأَسْمَاعُ، أَيُّ: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى كَادَتْ  
تَصْمُّهَا. <sup>(١)</sup> فَيَصْمِتُ هَا كُلُّ شَيْءٍ <sup>(٢)</sup>.

وَقِيلَ: هِيَ نَتِيجَةُ النَّفْخِ فِي الصُّورِ <sup>(٣)</sup>.

وَهَذِهِ الصَّيْحَةُ كَأَنَّهَا تَطْعَنُ فِيهَا؛ لِقُوَّةِ وَقَعَتِهَا وَعَظِيمِ وَجَبَتِهَا،  
وَتَضْطَرُّ الْأَذَانُ إِلَى أَنْ تَصِيخُ إِلَيْهَا أَيُّ: تَسْمَعُ، وَأَصْلُ الصَّخِ: الضَّرْبُ  
بِشَيْءٍ صَلَبٍ عَلَى مُصْمِتٍ <sup>(٤)</sup>.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْرُّءُوسُ مِنْ أَخِيهِ <sup>(٣٤)</sup> وَأُمَّهُ وَأَبِيهِ <sup>(٣٥)</sup> وَصَحْبُهُ وَبَنِيهِ﴾.

قَدَّمَ أَدْنَاهُمْ رُتَبَةً فِي الْحُبِّ وَالذَّبِّ، فَأَدْنَاهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّرَفِّي <sup>(٥)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الثَّغَلِيِّ» (٢٨ / ٤٤٨).

(٢) «الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» (١٢ / ٨٠٦٧).

(٣) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ ابْنِ جُرَيٍّ»، التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ» (٢ / ٤٥٤).

(٤) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٦٩).

(٥) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٧٠).

﴿عَنْ سَوْدَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، وَيَبْلُغُ شَحْمَةَ الْأُذُنِ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاسْوَأَتَاهُ يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: «شُغِلَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ»، وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٥] (١).

﴿وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» (٢).

﴿وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ؟ قَالَ: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] (٣).

### ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾

كَانَ الْإِقْبَالُ عَلَيْهِمْ إِمَّا لِلنَّفْعِ أَوْ لِلْإِنْتِفَاعِ، وَكِلَاهُمَا مُتَتَفٍ؛ لِاشْتِغَالِهِ

(١) «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ لِلْحَاكِمِ» (٢/ ٥٥٩) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَلَيْسَ هُوَ فِي الْمُسْنَدِ وَلَا فِي الْكُتُبِ. «الْنِّهَايَةُ فِي الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِم» (١/ ٣١٨).

(٢) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٨/ ١٠٩) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ٢١٩٤).

(٣) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ تَبَشَّار» (٥/ ٢٩٠) «سُنَنُ النَّسَائِيِّ» (٤/ ١١٤) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

بِنَفْسِهِ عَنِ نَفْسٍ غَيْرِهِ، وَعَلِمَهُ بَعْدَ نَفْعِهِ، وَتَأْخِيرُ الْأَحَبِّ فَلَاحِبٌّ  
لِلْمُبَالَغَةِ<sup>(١)</sup>.

وَالْفِرَارُ يَكُونُ إِمَّا مِنْ طَلَبِ الْمَوَالَةِ، أَوْ مِنْ طَلَبِ النَّصْرَةِ، أَوْ مِنَ الْمَسَاءَلَةِ؛  
أَمَّا الْفِرَارُ مِنْ مُوَالَاتِهِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوا﴾. [البقرة: ١٦٦]، وَأَمَّا الْفِرَارُ مِنْ نُصْرَتِهِ، فَيَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ  
مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدُّخَان: ٤١]، وَأَمَّا الْمَسَاءَلَةُ، يَدُلُّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا  
يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنْ أَمْرٍ شَيْئًا﴾ [المعارج: ١٠]، وَكَذَلِكَ يَفِرُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ تَحْمِيلِ ثِقَلِ  
الْأَقْرَبَاءِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾،  
وَقَدْ كَانُوا يَتَعَاوَنُونَ فِي الدُّنْيَا فِي تَحْمِيلِ الْأَثْقَالِ، فَيُخْبِرُ أَنَّهُمْ لَا يَتَعَاوَنُونَ فِي ذَلِكَ  
الْيَوْمِ؛ بَلْ يَفِرُّونَ<sup>(٢)</sup>.

﴿أَخِيهِ﴾ الَّذِي هُوَ نَصِيرُهُ فِي الدُّنْيَا، ﴿سَنَسُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]،  
﴿وَصَحْبِيهِ﴾ زَوْجَتُهُ ﴿وَبْنِيهِ﴾، وَلَمَّا كَانَ لِلْوَالِدِ إِلَى الْوَلَدِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْعَاطِفَةِ  
وَالِإِبَاحَةِ بِالسَّرِّ وَالْمُشَاوَرَةِ فِي الْأَمْرِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ، وَلِذَلِكَ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ  
وَعُمُرَهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الْقَاسِمِيِّ = مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ» (٩ / ٤١١).

(٢) «تَفْسِيرُ الْهَاتِرِيدِيِّ، تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠ / ٤٢٨).

(٣) «نَظْمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٧٠).

﴿لِمَاذَا رَتَّبَ اللَّهُ هَذَا التَّرْتِيبَ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى؟﴾

﴿قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «لَوْ عَكَسَهَا لَمَا كَانَ لِدِكْرِ الْبَقِيَّةِ فائدة»﴾.

﴿كَأَنَّهُ قَالَ: يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ، بَلْ مِنْ أَبَوَيْهِ، بَلْ مِنْ صَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. وَقِيلَ: يَفِرُّ مِنْهُمْ؛ حَذَرًا مِنْ مُطَالَبَتِهِمْ بِالتَّبَعَاتِ.

﴿يَقُولُ الْأَخُ: لَمْ تُؤَاسِنِي بِمَا لَكَ، وَالْأَبْوَانِ: قَصَّرْتَ فِي بَرِّنَا، وَالصَّاحِبَةُ: أَطْعَمْتَنِي الْحَرَامَ وَفَعَلْتَ وَصَنَعْتَ، وَالْبَنُونَ: لَمْ تُعَلِّمْنَا وَلَمْ تُرْشِدْنَا، وَقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ: هَايِلُ، وَمِنْ أَبَوَيْهِ: إِبْرَاهِيمُ، وَمِنْ صَاحِبَتِهِ: نَوْحٌ وَلُوطٌ، وَمِنْ ابْنِهِ: نَوْحٌ.

﴿يُعْنِيهِ﴾: يَكْفِيهِ فِي الْإِهْتِمَامِ بِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾، قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ فَلَمْ يَعُدْ فِي قَلْبِهِ مَتَسَّعٌ لَهُمْ آخَرٌ».

وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ الْمَعْنَى نَفْسَهُ، وَكَذَا الْبَقَاعِيُّ.

﴿عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾: أَفْضَى إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يَشْغَلُهُ عَنِ النَّاسِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الرَّخْخِشِيِّ، الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤ / ٧٠٥).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٢٥).

وَهُوَ فِكْرُهُ فِي سَيِّئَاتِهِ وَخَوْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّخْلِيدِ فِي النَّارِ، وَالْمَعْنَى:  
يُغْنِيهِ عَنِ اللَّقَاءِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَمْرِهِ. <sup>(١)</sup>

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ [الدُّخَان: ٤١]، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ ذِشْنُ يَوْمِهِ﴾  
يُغْنِيهِ، وَهَذَا أَحْيَانًا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَهْمُومًا، قَدْ لَا يَرَى  
مَا أَمَامَهُ.

✽ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ الْأَبْهَرِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَفِرُّ مِنْهُمْ إِذَا ظَهَرَ  
لَهُ عَجْزُهُمْ وَقَلَّةُ حِيلَتِهِمْ، إِلَى مَنْ يَمْلِكُ كَشَفَ تِلْكَ الْكُرُوبِ وَالْهُمُومِ  
عَنْهُ، وَلَوْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا لَمَّا اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ، الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ  
شَيْءٌ، وَتَمَكَّنَ مِنْ فُسْحَةِ التَّوَكُّلِ وَاسْتَرَاحَ فِي ظِلِّ التَّفْوِيزِ <sup>(٢)</sup>.

وَكَمَا فَرَّ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا دَعَا  
لِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَإِذَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَنْفَعُوهُ إِلَّا إِذَا شَاءَ اللَّهُ، وَفِي الْآخِرَةِ هُمْ  
أَوَّلُ النَّاسِ هُرُوبًا مِنْهُ، فَلَمْ يَعِصِ اللَّهُ بِسَبَبِهِمْ وَلَا جُلَّهُمْ؟!  
وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَّ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،  
لِذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِغَيْرِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ مَالَاتِ النَّاسِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَ ذِشْنُ مُسْفَرَةٍ﴾.

أَسْفَرَ الصُّبْحُ إِذَا أَضَاءَ، وَجُوهٌ مُضِيئَةٌ كَالْقَمَرِ، مَسْرُقَةٌ مُضِيئَةٌ.

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ، الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥ / ٤٤٠).

(٢) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٤٩).



❖ وَقَالَ الْفَرَاءُ: مُشْرِقَةٌ مُضِيَّةٌ، وَإِذَا أَلْقَتِ الْمَرْأَةُ نِقَابَهَا قِيلَ سَفَرَتْ فَهِيَ سَافِرٌ<sup>(١)</sup>.

مُضِيَّةٌ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ أَوْ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ<sup>(٢)</sup>، وَأَشْرَفَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: أَضَاءَتْ لَمَّا رَأَتْ رَبُّهَا.

❖ وَقَالَ عَطَاءُ الْخَرَّاسِيُّ: مِنْ طَوْلٍ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

وَهَذِهِ الْآيَةُ بَشَارَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَحَالَةَ حَاصِلٌ لَهُ هَذَا الْإِخْبَارُ<sup>(٤)</sup>.

❖ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِقَةٌ مُضِيَّةٌ، وَهِيَ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يُقَالُ: أَسْفَرَ وَجْهُ فُلَانٍ: إِذَا حَسُنَ، وَمِنْهُ أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ، وَكُلُّ مُضِيٍّ فَهُوَ مُسْفِرٌ، وَأَمَّا سَفَرٌ بِغَيْرِ أَلِفٍ؛ فَإِنَّمَا يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا أَلْقَتِ نِقَابَهَا عَنْ وَجْهِهَا أَوْ بَرَّقَعَهَا، يُقَالُ: قَدْ سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ وَجْهِهَا، إِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ؛ فَهِيَ سَافِرَةٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ» (٣ / ٢٣٩).

(٢) «تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ = مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ» (٣ / ٦٠٤).

(٣) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ» (٢٨ / ٤٥٦).

(٤) «النُّكْتُ الدَّالَّةُ عَلَى الْبَيَانِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْأَحْكَامِ» (٤ / ٤٧٩).

(٥) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ الْأَرْنَؤُوطِ» (١ / ٤٢١).

## ﴿صَاحِكَةٌ﴾

فَاجْتَمَعَ الضَّحِكُ مَعَ السُّرُورِ؛ فَالْقَلْبُ اطمَأَنَّ وَسُرٌّ، وَالْوَجْهَ اسْتَنَارَ  
مِنَ الْفَرَحِ، وَيَتَطَلَّعُونَ إِلَى الْمَزِيدِ.

## ﴿صَاحِكَةٌ﴾

❖ يَقُولُ: صَاحِكَةٌ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ  
﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ ﴿لَمَّا تَرَجُّو مِنَ الزِّيَادَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

❖ عَنْ بُرَيْدَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى  
الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup> هَذَا هُوَ النُّورُ التَّامُّ، وَضِدُّهُ: ﴿وُجُوهٌ  
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غَبَارٌ وَدُخَانٌ، الْغَبَرَةُ: صِفَةٌ مِنَ الْغُبَارِ<sup>(٣)</sup>.

﴿تَرْهَقُهَا﴾ أَيُّ: تَغْشَاهَا وَتَعْلُوهَا ﴿قَتْرَةٌ﴾ يَعْلُوهَا سَوَادٌ، عَلَيْهَا سَوَادٌ  
وَعُبَارٌ وَدُخَانٌ.

﴿قَتْرَ﴾ الْقَافُ وَالتَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَجْمِيعٍ وَتَضْيِيقٍ<sup>(٤)</sup>.

❖ وَقَالَ الزَّخَشَرِيُّ: الْغَبَرَةُ: غُبَارٌ يَعْلُوهَا، وَالْقَتْرَةُ سَوَادٌ، فَيَعْظُمُ

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٢٧).

(٢) «سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ تِ الْأَرْنَؤُوط» (١ / ٤٢١).

(٣) «دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ ط الْحِكْمَةِ» (٤ / ١٧٠١).

(٤) «مَقَائِيسُ اللَّغَةِ» (٥ / ٥٥).

قُبْحَهَا بِاجْتِمَاعِ الْغُبَارِ وَالسَّوَادِ.

﴿مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَبُّ؟﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ﴿جَمَعَ اللَّهُ إِلَى السَّوَادِ الْغَبْرَةَ، كَمَا جَمَعُوا الْكُفْرَ إِلَى الْفُجُورِ.

﴿وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿زَهَقَهَا قَتْرَةٌ﴾ قَالَ: هَذِهِ وُجُوهُ أَهْلِ النَّارِ؛ قَالَ: وَالْقَتْرَةُ مِنَ الْغَبْرَةِ، وَقَالَ: وَهُمَا وَاحِدٌ، قَالَ: فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الْقَتْرَةَ: مَا اِزْتَفَعَ فَلَحِقَ بِالسَّمَاءِ، وَرَفَعَتْهُ الرِّيحُ، تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْقَتْرَةَ، وَمَا كَانَ أَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ الْغَبْرَةُ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الْحَاقَّةُ: ١٤] قَالَ: «يَصِيرَانِ غَبْرَةً عَلَى وُجُوهِ الْكُفَّارِ لَا عَلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ»، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿زَهَقَهَا قَتْرَةٌ﴾ [عَبَسَ: ٤١] ﴿٢﴾.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الْكَفَرَةُ بِاللَّهِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا الْفَجَرَةَ فِي دِينِهِمْ، لَا يُبَالُونَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَرَكِبُوا مِنْ مَحَارِمِهِ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ مَا أَخْبَرَ بِهِ عِبَادَهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٢٧).

(٢) «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢ / ٥٥٩) وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ».

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ١٢٧).

﴿قَالَ الْبِقَاعِيُّ: وَهُمْ فِي الْأَغْلَبِ الْمُتَرْفُونَ الَّذِينَ يَحْمِلُهُمْ غِنَاهُمْ عَلَى التَّكَبُّرِ وَالْأَشْرِ وَالْبَطَرِ، فَلَجَمَعَهُم بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ؛ جُمِعَ لَهُم بَيْنَ الْغَبَرَةِ وَالْقَتَرَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

وَصَلَةُ أَوَّلِ السُّورَةِ بِآخِرِهَا أَنَّ مَنْ اسْتَغْنَى فِي الدُّنْيَا؛ فَهُوَ مِنَ الْكُفْرِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَغْلُو وَجْهَهُ الْغِبَارُ.

(١) «نَظُمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١ / ٢٧٣).